نظام التعليم المطور للأنتساب

التذوّق الأدبي

د. جزاء المصاروة

١٤٣٢ هـ

إعداد

هتـــــان

بسم الله الرحمن الرحيم

المحاضرة التمهيدية

مدرس المادة

الاسم : الدكتور جزاء محمد المصاروة

الجنسية: أردني .

الرتبة العلمية : أستاذ مشارك.

طرق التواصل :

البريد الإلكتروني: jazamoham@kfu.edu.sa

الجوال المكتبي: ٠٥٠٦٦٧٢٨٠١

عناصر المحاضرة

- مقدمة
- معلومات عامة عن المقرر.
- محتوى المقرر.
- أهداف المقرر
- طرق تدريس المقرر.
- مصادر المقرر ومراجعه.
- التقويم .

مقدمة:

يعد التذوق الأدبي من المقررات الهامة فهو يساعد في فهم النصوص الأدبية التي تمثل رأس الهرم في دراسة اللغة وتعلمها، ويجعل الدارس قادراً على تلمس مواطن الجمال في النص الأدبي مما يوفر له المتعة والثقافة معاً .

قد يساعد هذا المقرر على تنمية ملكة الإبداع عند الطلبة ومحاكاة النصوص الراقية.

تظهر من خلاله قدرة الشعراء وإبداعهم، وإليك مثال بسيط عن هذه القدرة:

صورة رجل مصلوب

منظر بشع

الأدب يجمّل الصورة/نص للشاعر الأنباري

علوٌّ في الحياةِ وفـــي الممـــاتِ
لحقٌّ انت إحـــدى المعجـــزاتِ
كأنَّ الناسَ حولك حينَ قامـــوا
وفـــودُ نـــداك أيـــامَ الصِّـــلاتِ
كأنـــّك قائـــمٌ فيهـــم خطيـــبـــا
وكلـــُّهـــمُ قـــيـــامٌ لـــلـــصـــلاةِ
مددتَ يديك نحوهـــمُ احتفـــالا كمدِّهمـــا إليـــهـــم بالهـــبـــات

محتوى المقرر

- مفهوم التذوق الأدبي، وأهميته في تعلم اللغة وفهم كتب التراث.
- كيفية امتلاك مهارات التذوق الأدبي.
- دراسة نصوص مختارة من روائع الأدب العربي في المجالات الأدبية المختلفة، الشعر بأنواعه وانثر: الخطابة الوصايا، المناظرات . المقامات، المقال، القصة...
- موازنة بين بعض النصوص القديمة والحديثة.

أهداف المقرر

الهدف العام :

إكساب الطالب ملكة التذوق الأدبي باعتبار متعلم اللغة يسعى إلى فهم النصوص.

الأهداف الخاصة:

هدف معرفي : أن يتعرف الطالب إلى أهم صنوف الأدب وقرأ نماذج منها

هدف ثقافي : أن تتوسع ثقافته التحصيلية حول الأدباء وعصورهم

هدف مهاري : تنمية ملكة الذوق الأدبي

هدف تفكيري إبداعي : أن يتجاوز الطالب مرحلة التذوق الأدبي إلى نقد النصوص نقداً موضوعياً

طرق تدريس المقرر

- تقديم مادة نظرية عن الأدب وأشكاله والتذوق الأدبي
- دراسة نصوص أدبية مختارة.ويشمل :

قراء النص ، تفسير مفرداته وتراكيبه، دراسة بيئة النص، دراسة مؤلف النص، تطبيق أدوات التذوق الأدبي ومهاراته على تلك النصوص .

التقويم

٧٠% من العلمة للاختبار النهائي

٣٠% من العلامة لحضور المحاضرات والمشاركة في المنتديات، وهذه يحسبها النظام بشكل تلقائي.

ستكون الاختبارات النهائية موزعة على مناطق عدة في المملكة، فلا تنس الدخول على النظام وتحديد مركز الاختبار الذي ترغب فيه.

المصادر والمراجع

المرجع الرئيس: التذوق الأدبي، ماهر شعبان عبد الباري .

مراجع أخرى: في النقد الأدبي، إليا الحاوي .

المواقع الإلكتروني:

www.shamela.com

www.alwaraq.com

www.alfaseeh.com

البرامج الحاسوبية : الجامع الكبير لكتب التراث ، المكتبة الشاملة ، الموسوعة الشعرية

المحاضرة الأولى

عناصر المحاضرة :

التعريف اللغوي والتعريف الاصطلاحي

أهمية التذوق الأدبي وعناصر الذوق ومكوناته ومصادره

أقسام الذوق وأنواعه وكيف ننمّيه ونطوره

التذوق لغةً :

في المحيط : ذاقه ذوقا وذوقانا ومذاقة اختبر طعمه ، وتذوقه ذاقه مرة بعد مرة . وفي المنجد : الذوق ملكة تدرك بها الطعوم والذوق الطبع ، يقال هو حسن الذوق للشعر أي مطبوع عليه . ويقول ابن خلدون في مقدمته بعد تفسير الذوق بأنه حصول ملكة البلاغة للسان : " واستعير لهذه الملكة ، عندما ترسخ وتستقر اسم الذوق الذي اصطلح عليه أهل صناعة البيان وإنما هو موضوع لإدراك الطعوم ، ولكن لما كان محل هذه الملكة في اللسان من حيث النطق بالكلام كما هو لإدراك الطعوم استعير لها اسمه وأيضا فهو وجداني للسان كما أن الطعوم محسوسة له فقيل له ذوق " .

ومعنى هذا أن الذوق في معناه الحسي الأول علاج الأشياء باللسان لتعرف طعمها ، ويتبع ذلك الدلالة على ثمرة الذوق من حلاوة أو ملوحة أو مرارة أو حموضة ثم النفور من الأشياء أوالاطمئنان إليها ، فهنا مقدمة وحكم وعمل . وانتقلت الكلمة بعد ذلك إلى علاج الأشياء بالنفس لتعرف خواصها الجميلة أو الذميمة كحسن الألوان وتناسبها وجمال الألفاظ وبلاغتها وروعة الأنغام واتساقها ، وعكس ذلك ، وبهذا دخلت دائرة الفنون الجميلة لتدل على هذه الملكة المكتسبة أو الموهوبة التي تدرك ما في الآثار الفنية من كمال وجمال أو نقص ودمامة ، وكانت في الأدب لتدرك حسن التعبير اللغوي أو قصوره فتمهد بذلك للحكم السديد والتفسير الواضح الصحيح .

التذوق اصطلاحاً :

تعددت التعريفات لتحديد معنى التذوق تحديداً دقيقاً ، وقد دارت تلك التعريفات حول معانٍ متقاربة وإن اختلفت في بعض جزئياتها ويمكن حصرها في هذه المحاور :

أ – التذوق ملكةٌ أو حاسة فنية يتمتع بها أصحاب الفطرة السليمة

ب –التذوق الفهم الدقيق المتكامل لعناصر النص الأدبي

ت –أو هو استجابة وجدانية تحسن الحكم على النص الأدبي بعد فهمه

ث –أو هو تقدير العمل الأدبي تقديرا سليماً.

والخلاصة :

أن الذوق (التذوق) هو ملكة يقدَّر بها الأثر الفني أو هو ذلك الاستعداد الفطري أو المكتسب الذي نقدر به على تقدير الجمال والاستمتاع به ومحاكاته بقدر ما نستطيع في أعمالنا وأقوالنا وأفكارنا .

بدايات التذوق الأدبي :

كانت بدايات التذوق في الأدب العربي متزامنة مع ظهور الأدب لأنها كانت تحمل معنى كلمة النقد والتقييم للنص الأدبي، لأنَّ

مفهوم النقد الأدبي القديم في بداياته في العصر الجاهلي كان يعتمد على الفطرة السليمة والذوق الخاص أو العام حيث لم تكن هناك معايير نقدية معروفة ولا تعليلات للأحكام النقدية، ومن **أمثلة تلك المواقف النقدية التي اعتمدت على ذوق أصحابها :**

١. قال المتلمِّس في وصف بعيره

وقد أتناسى الهمَّ عندَ احتضاره ....بناجٍ عليه الصيعريةُ مُكدمِ

فقال طرفة بن العبد عندما سمعه (استنوق الجمل) لأنه قد وصف الجمل بما توصف به الناقة ، لأن الصيعرية سمة تكون في عنق الناقة ولا تكون للبعير.

٢. كانت تضرب للشاعر النابغة قبة من أدم بسوق عكاظ يجتمع إليه فيها الشعراء؛ فدخل إليه حسان بن ثابت وعنده الأعشى وقد أنشده شعره ، وأنشدته الخنساء قصيدتها التي مطلعها :

قَذىً بِعَينكِ أَم بالعَينِ عُوّارُ ... أَم ذَرَفَت إِذ خَلَت مِن أَهلِها الدارُ

فقال النابغة : لولا أن أبا بصيرٍ – يقصد الأعشى أنشدني قبلك لقلت: إنك أشعر الناس !!

فقال حسان : أنا والله أشعر منك ومنها.قال: حيث تقول ماذا؟

قال: حيث أقول :

لَنا الجَفَناتُ الغُرُّ يَلمَعنَ بِالضُحى ..... وَأَسيافُنا يَقطُرنَ مِن نَجــدَةٍ دَما

وَلَدنا بَني العَنقاءِ وَابني مُحَـــــــرِّقٍ ... فَأَكرِم بِنا خالاً وَأَكرِم بِذا اِبنَما

فقال : إنك لشاعر لولا أنك قللت عدد جفانك وفخرت بمن ولدت و لم تفخر بمن ولدك .

وفي رواية أخرى : فقال له : إنك قلت " الجفنات " فقللت العدد ولو قلت " الجفان " لكان أكثر. وقلت " يلمعن في الضحى " ولو قلت " يبرقن بالدجى ". لكان أبلغ في المديح لأن الضيف بالليل أكثر طروقاً. وقلت: " يقطرن من نجدة دماً " فدللت على قلة القتل ولو قلت " يجرين " لكان أكثر لانصباب الدم. وفخرت بمن ولدت و لم تفخر بمن ولدك. فقام حسان منكسراً منقطعاً. ..]

٣. وفي بدايات الإسلام يعد وصف الوليد بن المغيرة للقرآن الكريم خير مثال على التذوق العام للنص الأدبي، حيث كان مشركاً فسألته قريش أن يقول عن القرآن قولاً مشيناً، فقال: " ما منكم رجل أعرف بكلام العرب وأشعارها مني ، فقد عرفت رجـــزه وهزجه ومقبوضه و مبسوطه ، فوالله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا ، وإن لقوله لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يُعلى "

أهمية التذوق الأدبي :

تتجه الأمم والشعوب في العصر الحديث إلى تنمية الذوق بشتى الوسائل باعتبار الذوق الرفيع يعد عنوانا للرقي والتقدم،فليست المقاييس العمرانية والصناعية ببعيدة عن الذوق وإنما يعد الذوق عاملا أساسيا فيها . والتذوق الصحيح للأدب يقود لغايته المنشودة وهي تهذيب الشعور والأخلاق وتنقية النفس ولذا كانت تنمية الذوق هي الغاية الأولى في تدريس الأدب والعمل الأدبي رسالة يجب أن يحسن فهمها ، والمبدع يمثل له الذوق أهمية قصوى بوصفه أول المتذوقين لعمله ، أما المتلقي فتذوق النص الأدبي فيجعله يدرك الغاية منه وصاحب الذوق السليم يستطيع تقدير الآثار الأدبية والفنية وإدراك ما في الكون من تناسق وجمال وتناسب .

عناصر التذوق الأدبي :

ليس الذوق ملكة بسيطة، ولكنه مزيج من العاطفة ، والعقل ، والحس، وربما كانت العاطفة أهم عناصره وأوسعها سلطانا في تكوينه ومظاهره وأحكامه . لذا فهو يختلف باختلاف الأفراد، فيندر أن تجد اثنين يتفقان فيما يصيبان من هذه العناصر كيفا وكما وكان لذلك مظاهره في نقد الأدب ؛ فمن غلب عليه عنصر الفكر آثر شعراء المعاني كأبي تمام وابن الرومي والمتنبي والمعري . وفضل كُتّاب الثقافة كالجاحظ وابن خلدون ، ومن غلبت عليه العاطفة فُتن بشعراء النسيب والحماسة والعتاب ، وبالخطباء والوصاف ، ومن كان شديد الحس فضل أسلوب البحتري وشوقي كما يفضل الموسيقى والرسم الجميل .

مصادر التذوق الأدبي :

١. هبة طبيعية تولد مع الإنسان فيعبر عنها بصفاء الذهن وخصب القريحة وجمال الاستعداد ، ويظهر ذلك في ميل الناشئ الموهوب منذ الطفولة إلى كل جميل من الأدب والفن.

٢. التهذيب والتعليم : فالدرس ينمي الذوق ويهذبه ويسمو به، فالأديب ذو الفطرة الذواقة يفيد من قراءة الأدب وممارسة الفنون فتراه بعد قليل مصقول الذوق ثاقب الذهن يضع يده على العبارة البليغة والخيال الجميل ويدرك صدق العاطفة وينفر من كل مضطرب من الأدب.

أقسام الذوق :-

الناحية الأولى إلى سليم وسقيم :

أولاً ــ الذوق السليم :

وقد يسمى الذوق الحسن أو الصحيح أو نحو ذلك مما يشير إلى تهذيبه وصدق أحكامه ودقة تمييزه بين الأدب العالي الجميل والأدب المتكلف السخيف .

ثانياً ــ الذوق السقيم :

وقد يطلق عليه الذوق الرديء أو الفاسد ونحو ذلك وهو الذي لا يحسن التفرقة بين أنواع الأدب من حيث القيمة الفنية أو الذي يؤثر السخيف المطرح أو الذي لا يحسن شيئا مطلقا .

والنوع الأول هو المراد في باب النقد وإليه تنصرف كلمة الذوق إذا أطلقت وقد وصفه صاحب الوساطة بقوله : " إنما نعني الذوق المهذب الذي صقله الأدب ، وشحذته الرواية ، وجلته الفطنة وألهم الفصل بين الرديء والجيد وتصور أمثلة الحسن والقبيح ..... وأصحاب الذوق السليم قليلون وهم مضطرون دائما إلى حفظ أذواقهم من الآفات التي تفسدها " .

الناحية الثانية إلى سلبي وإيجابي :

أولاً ــ الذوق السلبي :

وهو ذوق يدرك به الجمال ويتذوقه لكنه عاجز عن تفسير ما يدرك أو تعليله ، وصاحبه يظفر بالمتعة الأدبية ويقنع بها فتضيء نفسه وتمتع وجدانه .

ثانياً ــ الذوق الإيجابي :

وهو ذوق يدرك الجمال ويميز بينه وبين القبح ثم يعبر عن ذلك مبينا مواطنه ثم يعلل كل صفة أدبية . وحينما يسمع أو يقرأ البيت أو القصيدة يستطيع بسهولة أن يدلك على مواطن الحسن أو القبح ذاكرا أسباب ذلك مقترحا ما يجب أن يكون .

أقسام الذوق :-

الناحية الثالثة إلى عام وخاص :

أولاــ الذوق العام :

ما يشترك فيه أبناء الجيل الواحد في البيئة الواحدة وفي البلد الواحد لأنهم يتأثرون بظروف مشتركة تطبعهم جميعا بطابع عام يجمعهم ويؤلف بينهم ، ومثال ذلك المصريون يشتركون في ذوق عام يجمعهم على الإعجاب بالآثار الفنية.

ثانيا ــ الذوق الخاص :

وهو الذوق الذي تتصف به جماعة خاصة لخصوصية البيئة أو الثقافة أو الشخصية الفردية وكل ذلك داخل إطار الذوق العام لأهل البلد المعين ، ومثال ذلك نجد في مصر أن ذوق الأزهريين يختلف عن ذوق الجامعيين الذين أيضا يختلفون بينهم بحسب مصادر ثقافتهم فمنهم من يتأثر بالذوق الانجليزي ومنهم من يتأثر بالذوق الفرنسي وهكذا .

المحاضرة الثانية

العوامل المؤثرة في الذوق الأدبي

العوامل المؤثرة في الذوق الأدبي :

- البيئة .
- الزمان .
- الجنس .
- التربية .
- المزاج الخاص .

مقدمة

تناولنا في المحاضرة السابقة معنى الذوق والتذوق في اللغة والاصطلاح، وبينا كيف كانت بدايات التذوق الأدبي انطباعيّة غير مبنية على نظريات وعلوم، وقسمنا الذوق تقسيمات متعددة .

وفي هذه المحاضرة سوف نتناول أبرز العوامل التي تؤثر في الذوق أو الذائقة الأدبية عند الشخص .

العوامل المؤثرة في الذوق :

لا شك أن الذوق الأدبي ليس ثابتا وإنما يخضع لمؤثرات تتوارد عليه فتخالف بين ذوق الفرد أو الجماعة أو الأمة ، ومن أهم تلك العوامل :

١ – البيئة : ويراد بها الخواص الطبيعية والاجتماعية التي تتوافر في مكان ما ، فتؤثر فيما تحيط به آثارا حسية ممتازة ، والدليل على ذلك أننا نجد أن الذوق عند البدو غيره عند أهل الحضر لما بين البيئتين من فروق مادية ومعنوية تطبع عناصر الذوق بطابعها في كلتيهما . وهي فروق بين الخشونة والرقة، وبين الاضطراب والاستقرار وبين البساطة والتعقيد ، وهي فروق بين ذوق يطمئن إلى العناصر الخيالية الصحراوية وإلى المعاني القريبة الصريحة والفضائل البدوية والحرية، وبين ذوق لا يرضى إلا بصورة الترف وعميق المعاني ، والعناية بالأداء والصنعة . وتجد ذلك واضحا عند أهل البادية الذين كانوا يفضلون زهيرًا وذا الرمة الذين كان شعرهما بدويا خالصا لفظا ومعنى وخيالا ، بينما نرى الكوفيين يفضلون الأعشى الذي تحضر في شعره وقال في اللهو والخمر مما يلائم ذوق الكوفيين الذين تأثروا بالحضارات المختلفة وكان فيهم المُجّان والمترفون ، فإذا تغيرت البيئة تغير معها الذوق الأدبي مُنشئا وناقدا .

ومما يدل على صدق ذلك قصة علي بن الجهم لما ورد على المتوكل مادحا بقوله :

أنتَ كالكلبِ في حفاظِكَ للودِّ وكالتيسِ في قراعِ الخطوب

فهمَّ بعضُ الحضورِ بقتلِه ، فقال الخليفة : " خلِّ عنه، فذلك ما وصل إليه علمُه ومشهودُه ، ولقد توسمتُ فيه الذكاءَ فليُقِمْ بيننا زمناً وقد لا نعدم منه شاعراً مجيداً " . فلما أقام في الحضَر(في الرَّصافة) بضع سنين قال الشعرَ الرقيقَ الملائم للبيئة الحضرية كقوله

عيونُ المها بينَ الرَّصافةِ والجسرِ جلَبْنَ الهوى من حيث أدري ولا أدري

أعَدْنَ لِيَ الشوقَ القديمَ ولم أكنْ سلوتُ ولكنْ زِدْنَ جمراً على جمرِ

وكان لهذه البيئات المختلفة آثارها المختلفة في تفاوت الذوق الأدبي، سواء أكان في العصر الواحد أم في العصور المتتابعة

فلا شكَّ أن عدي بن زيد في الجاهلية يختلف عن زهير وطرفة في الذوق الأدبي لطول مقام عدي في الحاضرة ، مما أكسبه رقة وسلاسة لا تجدهما زهير وطرفة في جزالتهما وبداوتهما الخشنة ، ولا شك أيضا أن الذوق الأدبي على شطآن دجلة والفرات في العصر العباسي غيره في جزيرة العرب ، لما هذه البيئة الحديثة من خواص تجمعت وطبعت النقاد والأدباء طابعا حديثا في تذوق الأدب وإنشائه . ويمكن التدليل على تباين الذوق في الحالتين بما أنكره أحد النقاد على المتنبي حين وصف درع عدوه بالحصانة وأسنة أصحابه بالكلال(الضعف) في قوله يصف درع عدوه :

تخطّ فيها العوالي ليس تنفُذُها كأنّ كلّ سنانٍ فوقَها قلَمُ

قال القاضي الجرجاني: "فزعم أنه أخطأ في وصْفِ دِرْعِ عدوِّه بالحصانة، وأسِنة أصحابه بالكلال. ومن كان هذا قدرُ معرفته، ونهاية علمه فمناظرتُه في تصحيح المعاني وإقامة الأغراض عَناء لا يُجدي، وتعبٌ لا ينفَع؛ كأنه لم يسمع ما شحَنَت به العربُ أشعارَها من وصف ركْضِ المنهزم، وإسراع الهارب، وتقصير الطّالب، وقولهم: إنّ الذي نجّى فلاناً كرمُ فرسه، والذي ثبّطني عنه سرعةُ طرْفه. ولم يعلم أنّ مذاهبَ العرب المحمودة عندهم، الممدوحَ بها شجعانهم التفضلُ عند اللقاء، وترك التحصن في الحرب، وأنهم يرون الاستظهار بالجَنَن ضرباً من الجبن"

٢- الزمان : ويراد به العوامل المستحدثة التي تتوافر لشعب ما في فترة من الفترات فتنقله في درجات الرقي والحضارة، فيتشكل بما يتقرر في عصره من ثقافة ومذاهب مبتكرة، وهكذا يكون الذوق الأدبي حلقة تاريخية تصور خلاصة الجهود الثقافية والتهذيبية لعصر من عصور التاريخ الأدبي، وتجد أمثلة ذلك واضحة في تحولالذوق الأدبي بين العصر الجاهلي وما تلاه من العصور .

وخير مثال لذلك ما حدث في العصر العباسي إذ وُجد أدَبان: قديم وحديث أو قل وجد ذوق جديد ينعى على الأدب القديم طرائقه في الأداء وينكر على مقلديه انصرافهم إلى الماضي، البعيد بدلا من الحاضر، وما ثورة أبي نواس على الأطلال واستبدالها بوصف الخمر إلا أكبر شاهد على ذلك في نحو قوله :

صِفَةُ الطُلولِ بَلاغَةُ القِدمِ فَاجعَل صِفاتِكَ لِابنَةِ الكَرْمِ

بل واستهزاؤه بالعرب الذين يقفون على الأطلال في قصائدهم بقوله :

قل لمن يبكي على رسمٍ درَسْ واقفاً ما ضرَّ لو كان جلس

اتركِ الربعَ وسلمى جانباً واصطبحْ كرخيّةً مثلَ الغلَسْ

ونشأ أدب جديد في هذا العصر سايره الذوق حتى نرى الأصمعي اللغوي يقدم بشاراً على مروان بن أبي حفصة، ويعلل لذلك بتجديد بشار وسعة بديعه وعدم متابعته لمذهب الأوائل، وكان الذوق القديم قانعا بطبيعيّة التعبير وقرب المعاني والاستعارات، فإذا بالذوق الحديث يعمد إلى الصنعة البديعية ويتعمق وراء المعاني وتركيب الاستعارات، فصرنا نسمع مثل قول أبي تمام في حرصه على المطابقة :(راجع كتب البديع والبلاغة لتعرف معنى المطابقة)

فَالشَمسُ طالِعَةٌ مِن ذا وَقَد أَفَلَت وَالشَمسُ واجِبَةٌ مِن ذا وَلَم تَجِبِ

وقول المتنبي مبالغا إلى درجة بعيدة :

وَضاقَتِ الأَرضُ حَتّى كانَ هارِبُهُم إِذا رَأى غَيرَ شَيءٍ ظَنَّهُ رَجُلا

وإذا تركنا ذلك إلى ذوق المعاصرين الأدبي فهل نراهم يعجبون بالبديع أو التكرار أو المبالغة أو المدائح أو تقليد السابقين أو فن المقامات مثلا ؟

٣- الجنس : نعني به الجماعة التي سكنت مكانا واحدا وخضعت في حياتها لعوامله عهودا طويلة فنشأت فيهم طائفة من العادات والأخلاق وطرق الفهم والإدراك يخالفون فيه سواهم ممن أنجبتهم بيئة أخرى مغايرة .

ولكل جنس طابعه في الذوق الأدبي، فقد ظهر الذوق الفارسي في بشار وأبي نواس وابن المقفع، وقد ظهر أثر ذلك في ما اصطلح على تسميته بالشعوبية (ما المقصود بها ؟)

كما ظهر الذوق الرومي في ابن الرومي في تسلسله واستقصائه وطول نفسه والذوق المصري في البهاء زهير الذي كان شعره حكاية الأسلوب المصري في جِدّه وفي هزله وفي روحه ومعانيه.

٤- التربية : ونعني بها آثار الأسرة والتعليم والتنشئة الخاصة، فقد تجد جماعة من جنس واحد وبيئة واحدة وزمان واحد وهم مع ذلك متباينو الأذواق بسبب اختلافهم في الثقافة والدراسة والتهذيب الذي ظفر به كل منهم. ومن **أمثلة ذلك** شوقي وحافظ اللذان عاشا في زمان واحد في مصر ولكن كان لكل منهما في أدبه ذوق خالف به الآخر وفي القديم مثال على ذلك"يُحكى عن ابن الرومي أن لائماً لامه فقال: لم لا تشبه تشبيه ابن المعتز وأنت أشعر منه ؟

قال:أنشدني شيئاً من قوله الذي استعجزتَني في مثله، فأنشده في صفة الهلال:

انظر إليه كزورقٍ من فضةٍ قد أثقلتْه حُمولةٌ من عنبر

.... فصاح : واغوثاه، يا لله، لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، ذلك إنما يصف ماعون بيته؛ لأنه ابن الخلفاء، وأنا أي شيء أصف؟ ولكن انظروا إذا وصفت ما أعرف أين يقع الناس كلهم مني؟ هل قال أحد قط أملح من قولي في قوس الغمام.....وقولي في قصيدة في وصف الرقاقة :

ما أنس لا أنس خبازاً مررتُ به يدحو الرقاقةَ وشكَ اللمْحِ بالبصرِ

ما بين رؤيتِها في كفِّه كرةً وبين رؤيتها قوراءَ كالقمرِ

إلا بمقدار ما تنداح دائرةٌ في صفحة الماء يرمى فيه بالحجرِ

٥- المزاج الخاص أو الشخصية الفردية : المزاج هو الشخصية الفطرية الطبيعية أو هو ذلك العنصر من عناصر الحياة العقلية الذي يختلف باختلاف الأفراد من الناحية الوجدانية وكذلك من ناحية الميول . ويظهر أثر اختلاف المزاج في الذوق الأدبي إنشاء ونقدا.

ومثال ذلك ابن الرومي الذي عرف بالمزاج السوداوي فكان طبيعيا أن يكون متشائما في نحو قوله:

لِمَا تُؤذن الدنيا به من صروفها يكون بكاءُ الطفل ساعةَ يُولَدُ

وإلا فما يبكيه منها وإنها لأفْسَحُ مِمَّا كان فيه وأرْغَدُ

إذا أبصرَ الدنيا استَهلَّ كأنه بما سوف يلقى من أذاها يُهَدَّدُ

فقد خلع على الدنيا من مزاجه الحزين المتشائم وأبكى الطفل حين الولادة من كوارثها المرتقبة ، في حين أن شاعرا كالبحتري يخلع على الربيع بهجة من نفسه فتشيع فيه الحياة والجمال :

أَتاكَ الرَبيعُ الطَلقُ يَختالُ ضاحِكاً مِنَ الحُسنِ حَتّى كادَ أَن يَتَكَلَّما

وَقَد نَبَّهَ النَوروزُ في غَلَسِ الدُجى أَوائِلَ وَردٍ كُنَّ بِالأَمسِ نُوَّما

يُفَتِّقُها بَرْدُ النَدى فَكَأَنَّهُ يَبُثُّ حَديثاً كانَ أَمسِ مُكَتَّما

المحاضرة الثالثة

النص الأول : من الشعر الجاهلي لزهير بن أبي سُلمى

مقدمة :

هو زهير بن ربيعة بن رياح ، واشتهر بالنسبة إلى كنية أبيه (أبي سُلمى) وهو من قبيلة مُزينة ،فهو من قبيلة مضر.

ويعد من شعراء الطبقة الأولى من الشعراء الجاهليين ،فهو حكيم الشعراء الجاهليين ، وقد عرف بالشعر أبوه وخاله وأختاه وابناه كعب وبجير.

وقدكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقدمه على شعراء الجاهلية لسهولة شعره ولصدقه فهو لا يعاظل بين الكلام، ولا يتبع وحشية ولا يمدح الرجل إلا بما يكون في الرجال.

ويمتاز شعره بمتانة الألفاظ والسهولة والإيجاز.

جو القصيدة ومناسبتها :

كانت العلاقة بين القبائل في الغالب علاقة عداء فالقبيلة إما معتدية أو معتدى عليها،ولذا كانت الحروب سمة من سمات العصر الجاهلي، فالحرب تلد الحرب ؛ لأن أهل القتلى يطلبون الثار فتتجدد الحرب .

ومن أسباب الحروب بينهم المشاجرات أو الاختلاف حول المرعى أو كل ما قد يسبب الإهانة .

وقد نشأ شعر الحماسة من هذه الحروب التي يسمونها (الأيام) وتسمى بأسماء الأماكن التي دارت فيها،مثل (يوم ذي قار) و (يوم خزاز).

جو القصيدة ومناسبتها :

وهذه الأبيات من معلقة زهير التي يصور فيها الحرب بصورة منفرة وقد أنشأها بسبب الحرب التي دارت بين قبيلتي عبس وذبيان حينما تراهنا على تسابق فرسين،أحدهما يسمى داحس والآخر الغبراء وأن للسابق منهما عشرين بعيراً جائزة.فسبقت الغبراء لكن أصحاب داحس اعترضوها فسبقها داحس ولما علم أصحاب الغبراء بما حدث ثارت الحرب بينهما، حتى تدخل هرم بن سنان والحارث بن عوف فأصلحا بين القبيلتين، وتحملا ديات القتلى. فأنشأ زهير هذه القصيدة (المعلقة يمدح فيها هذين الرجلين ويدعو إلى السلام ونبذ الحرب) .

الأبيات (١ــــ ٤) من المعلقة

١. فأقسمتُ بالبيتِ الذي طافَ حولَه رجــالٌ بــَنَوْه مــن قريشٍ وجُرْهُــم

٢. يمينــاً لنــِعْمَ السيدانِ وُجــدتُــما على كل حــال من سحيل ومُبرَم

٣. تداركتما عبساً وذبــــيانَ بــعدما تفانَوا ودقّوا بينهم عِطر مَنشَم

٤. وقد قلتما إنْ نُدركِ السِلْمَ واسعاً بمالٍ ومعروفٍ من القول نَسلَم

جُرْهُم	قبيلة عربية يمنية قديمة نزلت الحجاز وسكنت مكة وهم الذين تزوج منهم نبي الله إسماعيل عليه السلام		
السحيل	الحبل المفتول فتلاً خفيفاً	المبرم	الحبل المفتول فتلاً قوياً
تفانوا	أفنى بعضهم بعضا	التدارك	التلافي
عطر منشم	منشم إمرأة كانت تبيع العطر ، تشاءم العرب منها لأن جماعة من فرسانهم اشتروا منها عطرا وغمسوا أيديهم فيه تعاهداً على النصر فقتلوا جميعهم		
السلم	(بكسر السين أو فتحها) هو الصلح		

معاني الأبيات

١/ يقسم الشاعر بالكعبة التي طاف حولها وبناها رجال هاتين القبيلتين ، والمقسم عليه سيذكره في البيت التالي.وفي هذا البيت إشارة إلى عقيدة الشاعر التوحيدية وديانته الحنفية.

٢/ يقسم الشاعر أن هذين السيدين الحارث بن عوف وهرم بن سنان أفضل الرجال عند كل حال في الشدة والرخاء فقد وجدهما الناس مستوفين لخلال الشرف والسيادة لأنهما تحملا تبعات الصلح وديات القتلى .

٣/ تداركتما أيها السيّدان هاتين القبيلتين بعدما استحكم العداء بينهما وأفنت الحرب رجالهم وشبابهم .

٤/ يُعجب الشاعر بما ألزم به هذان الرجلان نفسيهما بأن يُحققا الصلح مهما كلفهما ذلك من جهد ومال ، فكان لهما ذلك فسلمت القبيلتان من القتل والفناء.

الأساليب البلاغية والأدبية :

أ ــ أول ما يلفت الانتباه في هذه الأبيات هو الانتقال من الغائب إلى المتكلم إلى الخطاب حيث يظهر **الالتفات** سمة بارزة.
(أقسمتُ، بنوه، وجدتما، تفانوا)

ب ــ عنصر الخطاب كان حاضراً في هذه الضمائرالمتصلة:(وُجدتما، تداركتما، قلتما) وفي ذلك نسبة مباشرة للفضائل لهذين الممدوحين يؤكدها الشاعر مبيناً اهتمام الجميع بالحدث مدار الخطاب والإشادة وهو تحقيق السلام وإصلاح ذات البين باعتبار ذلك قيمة إنسانية أكدها الإسلام وحضّ عليها فيما بعد.

ج ــ استخدم الكناية في قوله:(من سحيل ومبرم) وهي كناية عن حالتي الرخاء والشدة.

د ــ وفي قوله: (وُجدتما) أسلوب حذف حيث حذف الفاعل للعلم به باعتبار أن الجميع يعرفون فضل هذين الرجلين.

هـ ــ وفي قوله:دقوا بينهم عطر منشم، كناية عن الحرب المدمرة وما نتج عنها بين القبيلتين وهي كناية عن صفة وفي ذلك إشارة للدورالعظيم الذي قام به هذان الرجلان .

و ــ في كلمتي (السّلم ونسْلم) تأكيد على ضرورة ترسيخ حالة السلم وليس مجرد الصلح إلى جانب مافي الكلمتين من جمال صوتي إيقاعي.

ز– وفي كلمتي تضرَ وتضرم جناس غير تام .

ح- استعمل الشاعر ألفاظاً تحمل دلالات مناسبة من حيث المعنى والصوت لما يريد مثل: تداركتما، فالتدارك يكون في حالة وصل فيها الشيء المتدارك إلى حالة خطيرة، كما إن الكلمة بطولها توحي بطول الحرب وفي استعمالها إيحاء بالحركة إذ في بنائها حركة أكثر من أدركتما مثلاً. الفعل تفانوا: على وزن تفاعل وهذا الوزن دال على المشاركة بين طرفين مما يشير إلى أن الموت كان مشتركاً بين الطرفين.

ط- استعمل التوكيد اللغوي لتأكيد المعنى المراد وبيان فضل هذين السيدين فلم يكتفِ باليمين وإنما استعمل لام التوكيد (يميناً...لنعم)

الأبيات (٥ــــ ١٠)

٥. ألا أبــلغِ الأحلافَ عنّي رسالــةً ... وذبيان هل أقسمتُمُ كلَّ مُقسَـــم

٦. وما الحربُ إلا ما علمتُم وذقتُمُ ... وما هو عنها بالحديثِ المرجَّم

٧. متى تبعثوها تبعثوها ذميـــمةً ... وتضرَ إذا ضرّيتموها فتضْرَم

٨. فتَعرُكْكم عَرْكَ الرَحى بِثفالها ... وتلقـــــــحْ كِشافاً ثم تُنتِجْ فتُتْئِم

٩. فتُنـــتج لكم غلمانَ أشأمَ كلُّهم ... كأحمرِ عادٍ ثم تُرضعْ فتَفطِم

١٠. فتــُغلِلْ لكم ما لا تُغلّ لأهلِها ... قرَىً بالعراق من قَفيزٍ ودرهم

اللغة والأسلوب

الأحلاف	جمع حِلف وهم القبائل التي تحالفت على الحرب	الرحى	الآلة التي تطحن بها الحبوب.
هل أقسمتم	قد أقسمتم ، وهل هنا بمعنى قد والاستفهام تقريري ــ المُقسم : القسم.	الثفال	قطعة من جلد توضع تحت الرحى لينزل عليها الدقيق
ذقتم	جرّبتم	تلقح	تحمل في بطنها جنيناً
الحديث المرجّم	الذي يُظن وليس حقيقة والمقصود أنكم أعلم الناس بالحرب	كشاف	أن تحمل الناقة في كل عام وذلك يضر بها وبولدها
تبعثوها	توقدون نارها بإثارة أسبابها	تنتج	تلد
ذميمة	قبيحة مكروهة	تتئم	تلد توأمين
تضرى	تصبح عادة. (تتعوّد)	أشأم	شديد الشؤم،والشؤم ضد اليُمن ــ أشأم عاد :هو عاقر ناقة صالح النبي واسمه قدار بن سالف
تضرم	تشتعل وتلتهب	تُغلل	تأتي بالغلة،والغلة كل ماتأتي به المزرعة من خير.
تعرككم	تدور عليكم وتطحنكم (والمقصود تذيقكم العذاب والمعاناة)	القفيز	مكيال تُكال به الحبوب

معاني الأبيات

٥. يُنبه الشاعر طرفي هذه الحرب إلى أهمية الالتزام بهذا الصلح الذي تحقق بعد جهد عظيم ويحذرهما من نفضه، والرسالة التي أراد تبليغها هي قوله: إيّاكم ونقض عهد الصلح.

٦. يذكرهم بأذى الحرب وشرورها وهم أعلم الناس بها لأنهم عايشوها حقيقة ولمدة طويلة فعرفوها معرفة يقينية فأنتم تعلمون أن الذي أصف به الحرب ليس من ضروب الظن وإنما هي حقيقة أذكركم بها.

٧.تعلمون أن الحرب شرّ كلها في أولها وآخرها ومتى ما أوقدت نارها سرعان ما تقضي على كل شئ وتزداد اشتعالاً فتعود بوجهها القبيح الشائن ويصعب تلافيها،فامنعوها بالتمسك بالسلم.

٨. وأن ما تفعله الحرب بالناس هو ما تفعله الرحى بالحبوب وبقطعة الجلد تحتها ، كما أن شرورها لا تنقطع وإنما تتابع وتتوالد آثارها مثل تلك الناقة الشؤم التي تحمل في كل عام ولا تلد ما ينفع .

٩. كما يذكرهم بأن الأجيال التي تولد في جو الحرب تكون غير سويّة فهي لا تجلب خيرا لأنها تعودت على القتل والثأر،ويكون هؤلاء الأبناء مثل الرجل الذي عقر ناقة ثمود فجلب العقاب على الجماعة كلها.

١٠.يتابع رسم الصورة المنفرة للحرب،ويذكرهم بأن ما يأتيهم من مضار الحرب وأذاها أكثر مما يناله أهل العراق من الخيرات والغلال التي عرفت بها أراضيهم الخصيبة .

الأساليب البلاغية

أ – استهل الشاعر هذا الجزء بـــ (ألا) وهي أداة تنبيه ولا يكون ذلك إلا لأمر مهم .وفي قوله:(هل أقسمتم كل مقسم) خرج الاستفهام عن حقيقته ليفيد التقرير، فتكون هل بمعنى قد، وهو أقوى من مجرد الإخبار.

ب – استخدم في البيت (٦) أسلوب القصر بقصد التأكيد وتقوية المعنى وحصره ويقصد أن الحرب ليس فيها غير ما يعلمونه من شرورها،وطريقته هي النفي والاستثناء .

ج – في بيت (٧) استعارة مكنية حيث شبه الحرب بالنار في سرعة انتشارها وفعلها وحذف المشبه به.

د – في بيت (٨) تشبيه بليغ حيث شبه فعل الحرب بهم بما تفعله الرحى بالحبوب،وفيه أيضاً استعارة مكنية حيث شبه الحرب بالناقة الشؤم التي تلد في كل عام وحذف المشبه به ورمز إليه بشئ من لوازمه(تلقح كشافا)

هـــ – يشبه الأجيال التي تنشأ في جو الحرب بأحمر عاد وهو أحمر ثمود حقيقة لأنه جاب لقومه العقاب والدمار بعقره للناقة التي أوصاهم نبي الله صالح ألا يمسوها بسوء.

و– الألفاظ كانت معبرة عما يسعى الشاعر إلى التعبير عنه، فاستعماله للفعل(ذقتم) للحرب يدل على عمق الإحساس بسلبيات الحرب لأن الذوق يكون باللسان وهو آلة معرفة الطعوم عن قرب، فقوله ذقتم أبلغ من قوله عرفتم وفي هذا الفعل استعارة تصريحية حيث شبه معرفة الحرب بالذوق فذكر المشبه به وحذف المشبه. واستعمال العطف بشكل لافت للنظر يدل على استمرارية الحرب وتوالي مصائبها حيث استعمل حروف العطف عشر مرات في الأبيات من ٧–١٠

وكان موفقاً في استعماله للفعل(تعرككم) لأنه بما فيه من قوة الجرس وشدة حرف الكاف يدل على قوة الحرب وشدتها .

الموسيق والبحر

هذه القصيدة من البحر الطويل وهو بحر من دائرة المختلف لاختلاف أجزائه بين فعولن ومفاعيلن، وسمي البحر الطويل بذلك لطوله فهو أطول بحور الشعر، واختيار الشاعر لهذا البحر موفق إلى حد كبير ومناسب لطول الحرب التي مهما قصرت تبدو طويلة على من يعايشها، كما إن اختلاف التفعيلات مناسب لما في الحرب من حركة واضطراب وتقلب.

فكر: كم عدد المعلقات ومن هم أصحابها؟

المحاضرة الرابعة

النص الأول: من القرآن الكريم: وصية لقمان لابنه

مقدمة :

القرآن الكريم أفصح النصوص اللغوية على الإطلاق نزل بلسان عربي مبين وتحدّى الله العالم كله أن يأتوا بسورة من مثله، ولا سيما العرب أهل الفصاحة والبلاغة.

والوصايا فن أدبي نثري يوجهه مجرّب خبير(الموصي) إلى من هو أقل منه خبرة وتجربة (الموصى) .

وقد عرف هذا الفن منذ ألعصر الجاهلي، ويعتمد على العقل والعاطفة معاً. والنص الذي بين أيدينا يمثل وصية من أب حكيم آتاه الله الحكمة لابنه.

النص القرآني :

وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦)

النص القرآني

يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (١٩)(لقمان:١٣-١٩).

معاني الألفاظ

وهن	ضعف	أناب	رجع
مِثْقَالٌ	واحد (مَثَاقِيل) الذَّهب، ومثقالُ الشيءِ : ميزانُهُ من مثله		
خَرْدلٌ	نبات عشبي حريف، ينبت في الحقول وعلى حواشي الطرق تستعمل بزوره في الطب ومنه بزور يتبل بها الطعام الواحدة خردلة ويقال ما عندي من كذا خردلة شيء ويضرب به المثل في الصغر		
عَزمُ الأمورِ	عَزَمَ على كذا، أراد فِعْلَهُ، وعَزْمُ الأمورِ : هنا صريمةُ الأمور		
تُصَعِّر	" الصَّعَرُ " الميلُ في الخَدِّ ، وقد صعَّرَ خَدَّهُ " تصعيرًا "		
وَصَاعَرَهُ	أي أمالَهُ من الكِبْرِ	الخَدُّ	الشِّقُّ الأيمنُ أو الأيسرُ من الوجهِ ، وتسمَّى
المِخَدَّةُ	بهذا الاسم ، لأنَّها توضعُ تحتَ الخَدِّ – مُخْتالٌ : مُنتشٍ متبَختِرٌ	اِقصِدْ	القصدُ إتيان الشَّيءِ ، والمُرادُ به هنا : اِعْتَدِلْ .
اُغْضُضْ	(غَضَّ) طرفَهُ خَفَضَهُ	غَضَّ من صوتِهِ	أي أخفضَهُ
أنكر الأصوات	أقبحها وأوحشها		

المضمون :

سورة لقمان من السور المكية وهي نموذج من نماذج الطريقة القرآنية في مخاطبة القلب البشري، تعالج قضية العقيدة في نفوس المشركين الذين انحرفوا عن تلك الحقيقة، . إنها القضية التي تعالجها السور المكية في أساليب شتى ، ومن زوايا منوعة ، تتناول القلب البشري من جميع أقطاره؛ وتلمس جوانبه بشتى المؤثرات التي تخاطب الفطرة وتوقظها

هذه القضية الواحدة قضية العقيدة تتلخص هنا في **توحيد الخالق وعبادته وحده وشكر آلائه** . وفي اليقين بالآخرة وما فيها من حساب دقيق وجزاء عادل . وفي اتباع ما أنزل الله والتخلي عما عداه من مألوفات ومعتقدات

وقد بين الله هذه القضية بأساليب متعددة منها هذه النصيحة، وهي نصيحة حكيم لابنه، فهي نصيحة مبرأة من العيب ، صاحبها قد أوتي الحكمة، وهي نصيحة غير متهمة، فبما يمكن أن تتهم نصيحة والد لولده؟ هذه النصيحة تقرر قضية التوحيد التي تقررها السور المكية، معتمدة على مؤثرات عقلية ونفسية ولغوية.

ويمكن لنا أن نخلص من تلك الآيات إلى المضامين التالية:

١. الإقرار بوحدانية الله .

٢. علاقة الإنسان بأمه.

٣. قدرة الله سبحانهُ وَتَعَالَى على إحصاءِ وإستقصاءِ كلِّ شيءٍ، كَبُرَ أو صَغُرَ (في صخرةٍ صَمَّاءَ أو في السَّمواتِ أو في الأرضِ)٠

٤. لُطْفُ اللهِ بعبادِهِ وعلمُهُ بأَحوالِهِم٠

٥. إقامةُ الصَّلاةِ، والحثُّ على المعروفِ، وتجَنُّبُ المنكرِ، والصَّبرُ على المُصيبةِ ٠

٦. الابتعادُ عن تَصْعِيرِ الخَدِّ، والْمَشْيِ المُتَبَخْتِرِ المَرِحِ ٠

٧. بُغْضُ الخالقِ (سبحانَهُ وتعالى) للمختالين الفخورين، وحُبُّهُ للطَّائعينَ المتواضعينَ ٠

٨. القصدُ في المشي وغضُّ الصَّوتِ ٠

٩. تجنُّبُ الصَّوتِ الصَّاخبِ الفاحشِ ٠

المعطيات اللغوية والجمالية في النص

١ – اللَّفظةُ القُرآنيَّةُ (بينَ الإفرادِ والتَّركيبِ) :

– أوَّلاً : من ناحيةِ الإفرادِ :

تَبْدُو كلُّ لفظةٍ من جملةِ الألفاظِ الواردةِ أنَّها تحملُ موقفًا لغويًّا ، بمعنى أنَّ انتقاءَهَا جاء مرتبطًا بدلالةٍ بِعَيْنِهَا، تنهضُ هذه الدِّلالةُ بتكملةِ جانبٍ معنويٍّ مرادٍ٠ **ومن أمثلة ذلك :**

يُنِي: استعمل صيغة التصغير التي من معانيها التحبب مما يناسب النصح من أب لابنه. **الحمير:** استعمال هذه الكلمة بما فيها من دلالات منفرة مناسب لتنفير المنصوح من عادة سيئة هي رفع الأصوات.يأتِ: استعمال الفعل **(يأتي)** أبلغ من يحضر أو يجيء لارباط الفعل يأتي بالفاعل فالله هو الذي يأتي بها وليس غيره.

– ثانيًا : من جانب التَّركيبِ :

أمَّا من جهةِ التَّركيبِ فيميلُ هذا النَّصُّ القرآنيُّ في مُجْمَلِهِ إلى الأسلوب الإنشائيّ ، حيثُ نلحظُ ذلكَ المُعْطَى الإنشائيَّ ممتدًّا من بَدْءِ النَّصِّ إلى مُنْتَهَاهُ ، نلمَسُهُ في النِّداءِ ، والشَّرطِ ، والأمرِ ، والنَّهي ، فضلاً عن التَّأكيدِ والنَّفيِ .

والأسلوب الإنشائي يجعل ذهن المتلقي حاضراً بشكل دائم وهذا مناسب للنصائح.

الأسلوب الإنشائي: هو الأسلوب الذي يعتمد جملاً لا تحتمل الصدق أو الكذب كما في جملة الاستفهام أو التعجب أو الأمر أو النهي...وعكسه الأسلوب الإخباري.

عَلَى أنَّنا نَلْحَظُ بعض الجمل الخبرية وأغلبها جمل اسمية، والجملة الاسمية تدل على الثبات والديمومة أكثر من الجملة الفعلية، وهذا مناسب للحقائق الثابتة التي تعرضها الوصية، كما جاء أغلبها مؤكداً بحرف توكيدٍ، ممَّا يعكسُ قدرةَ الإعجازِ القرآنيِّ ،الَّتي تعادلُ بين الخبر والإنشاء بما يناسب المقام.

الأسلوب :

حملت الآيات القرآنية الدلالات المتوخاة منها عبر أساليب متنوعة أبرزها ما يلي:

أولاً: التوكيد.

– والمؤكداتُ اللفظية في الآيات خمسة، هي على التَّرتيبِ :

المؤكدات

١) ''إنّ الشرك لظلم عظيم'' ــــــــــــــــــــــــــ مؤكد لظلميّة الشرك.

٢) ''إنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبيرٌ '' ــــــــــــــــــــــــــ مؤكِّدٌ لقدرةِ اللهِ وعلمِهِ ولطفِهِ.

٣) ''إنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ'' ــــــــــــــــــــــــــ مُؤكِّدٌ لمقوِّماتِ الإنسانِ المتديِّنِ.

٤) ''إنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ'' ــــــــــــــــــــــــــ مُؤكِّدٌ لِحُبِّ اللهِ لعباده المتواضعينَ .

٥) '' إنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ '' ــــــــــــــــــــــــــ مؤكّدٌ لإنكارِ الأصواتِ الصَّاخِبَةِ الفاحشةِ .

أنواع التأكيـــــد

ويجيءُ التَّأكيدُ في هذا النَّصِّ على نَمَطَيْنِ :

– النَّمطُ الأوَّلُ : ورودُ أداةِ التَّأكيدِ بصيغَتِهَا النَّصِّيَّةِ '' إنَّ '' وبشكلٍ مكرورٍ كما مرّ في الأمثلة الخمسة السابقة.

– النَّمطُ الثَّاني : التَّأكيدُ بالمعنى :

من ذلك تكرار اسم الله صراحة أو إضماراً ثماني مرَّاتٍ ، ثمَّ جـــــــاءت لوازم هـــــــذا اللَّفظ الجليلِ ممثَّلةً في(لطيفٍ) و(خبيرٍ) مرَّتينِ ، بمعنى أنَّ هذا اللَّفظَ الكريمَ بلازمَيْهِ يؤكِّدُ طلاقةَ ربِّ العالمينَ في القدرةِ والقُوَّةِ والاحتواءِ والجبروتِ مع لُطفِهِ وحِلمِهِ

التأكيد :

ومنه كذلك قوله''إذ قال لقمان لابنه وهو يعظه'' فهذه الجملة الحالية جاء مؤكدة أن ما يقدمه لقمان لابنه كان على سبيل الموعظة والموعظة تكون من حبيب إلى حبيبة وهي حتماً لصالح الموعوظ .

ومن ذلك الإحاطة التامة في حديثه عن مثقال حبة من خردل فلو كانت في صخرة أو في السماوات أو في الأرض، مع أن الصخرة من ضمن الأرض لكنه ذكرها ثم عمّم زيادة في التوكيد وهذا ما يسمى في البلاغة **ذكر العام بعد الخاص.**

٢– النِّداءُ :

جاء النداء في الآيات ثلاث مرات، والغرض من النداء تنبيه السامع، والتنبيه يكون في الأمور الهامة، ولو تتبعنا مواطن النداء لوجدناها متبوعة بأمر عظيم .

النداء الأول : يا بني لا تشرك بالله، وهذا محور السورة كلها وبيت القصيد في الوصية.

النداء الثاني : يا بني إنها إن تك مثقال...، وهذا حديث عن قدرة الله في الكون تلك القدرة التي تقتضي القضية الأولى(عدم الشرك به).

النداء الثالث : يا بني أقم الصلاة...وهنا حديث عن سلوك من أقر بقدرة الله فأقر له بالوحدانية.

٣- الأمر

جاء الأمرُ في الآياتِ الكريماتِ مَرَّاتٍ عديدة وعبرَ تَوجُّهيْنِ : التَّوجُّهُ الأوَّلُ : (منوطٌ ببعضِ العباداتِ الإسلاميَّةِ وما يتبعها) :

- مثالُ ذلكَ :

١. اشكر لي ولوالديك (لشكر الله والوالدين) .

٢. أَقِمِ الصَّلاةَ (لإقامَةُ الصَّلاةِ) .

٣. وَامُرْ بالمَعْرُوفِ (لِلأمربالمعروفِ) .

التوجُّهِ الأوَّلِ

٣- وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ (لِلنَّهيُ عنِ المنكَرِ) .

٤- وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصابَكَ (لِلصَّبرُ على المصائبِ) .

إنَّ التَّوجُّهات" الآمرةَ " الأولى منوطـــــةٌ بعباداتٍ " ماديَّةٍ " ملموســـــةٍ ، أما التَّوجُّهُ (الأمر)الأخيرُ فَيَغْدُو حالةً من العبـــــادةِ المعنويَّةِ ، لأنَّ أمرَهَا جاءَ عَبْرَ رافِدٍ معنويٍّ، ألا وَهُـــــوَ الصَّبـــــرُ ،وبوجهٍ خاصٍّ الصَّبرعلى المصائبِ والنَّوائبِ

التَّوجُّهُ الآخرُ :

- هذا التَّوجُّهُ منوطٌ بالسُّلوكِ الإنسانيِّ المعتدلِ :

- جاء منه على سبيلِ المثالِ :

- " وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ... " .

- " وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ... " .

تَعليقٌ : الأمرُ الأوَّلُ هُنَا مرتبطٌ بالتَّواضعِ والاعتدالِ في المَشْيِ .

الأمرُ الآخرُ : منوطٌ بالحياءِ أوِ الاستحياءِ في خفضِ الصَّوتِ

الخلاصةُ في " الأمر " :

بأدائِهِ للعباداتِ المفروضةِ، والتزامِهِ السلوكَ المُسْتَقِيمَ ، من خلالِ إنَّ التَّوجُّهين (الأمرين) معًا يُكملانِ مسيرَةَ الإنسانِ في حياتِهِ الأوامرالمفروضةِ عليهِ من قِبَلِ أَبيهِ والَّتي سطرتها الآياتُ الكريماتُ بتوجيهٍ ربَّانيٍّ خالصٍ وهادفٍ .

٤. النَّهْيُ :

- جاءَ النَّهْيُ هنا في سياقِ السُّلوكِ الإنسانيِّ العامِّ ، مِنْهُ :

أ - " لاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ... " .

ب - " وَ لاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا .... " .

وقد جَاءَ النَّهيُ الأوَّلُ لازمًا لفعلِ مُضعَّفِ العينِ (تُصَعِّرْ) ومُوجَّـهًا لِلنَّاس جميعًا ، وَذَلِـــــــــــكَ التَّضعيفُ – ثُمَّ عمومُ النَّاسِ – يمثِّلُ زيـــادةً في المَبْنَى ، وكما قال الصَّرفِيُّونَ : زيادةُ المبنَى زيادةٌ في المعنى .

– النَّهيُ الثَّاني :

يلزمُ هذا النَّهيُ الفعلَ المُضارعَ المجزومَ المعتلَّ " يَمْشِ " ، وهـــــــــــــذا الاعتلالُ يشيرُ في جانبٍ خفيٍّ إلى التَّبختُرِ والمرحِ والاختيالِ الَّذي يلازِم ذلك المُعتلِّ في سلوكِهِ وتصرُّفاتِهِ . يعضِّدُ تلكَ الرُّؤيَـــــــــــــــةَ السَّابقةَ مَجيءُ مختَتَمِ الآيـــــــــــةِ على صيغَةِ مبالغةٍ (فَخُور) مِمَّا يُعَمِّقُ الإحساسَ بِلُزُومِ النَّهْيِ وَوُجُوبِهِ إزَاءَ ذلكَ السّلوكِ الإنسانيِّ المُشينِ .

٥. الصُّورة القرآنيَّةُ :

– تَغْدُو صورةُ بل صورُ هذا النَّصِّ " القُرآنيِّ " لُغويَّةً أقرَبَ إلى الواقعِ منها إلى الخيالِ، بمعنى أنَّها صورةٌ واقعيَّةٌ، وليست خياليَّةً " بيانيَّةً " ؛ لذا ينطبق عليها مصطلحُ " الصُّورةِ المُقترَحَةِ "، لأنَّها لم تتشكَّل بعدُ ، وإنْ تَشَكَّلتْ فتشكُّلُهَا لا يَزَالُ في حينِهِ ، لأنَّ صيغَ تلكَ الصُّورةِ ، بل تلك الصّورِ جَاءَتْ مُسْتَشْرَفَةً بفعلِ الأمرِ، على النَّحو الآتي :

– الصُّورةُ الأولى : " أَقِمِ الصَّلاةَ "

– الصُّورة الثَّانيةُ " وَأْمُرْ بالمعروفِ "

– الصُّورةُ الثَّالثَةُ : " وَانْهَ عَنِ المُنْكَرِ "

– الصُّورةُ الرَّابعةُ : " وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ "

– الصُّورةُ الخامسةُ : " وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ "

– الصُّورةُ السَّادسةُ : " وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا "

– الصُّورةُ السَّابعةُ : " وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ "

– الصُّورةُ الثَّامنةُ : " وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ "

التعليقُ :

إنَّ هذه الصُّورَ القُرآنيَّةَ " الثَّمانيَ " في جملتِهَا لَمْ تَتحَقَّقْ بعدُ ، فَهِيَ صـــــورٌ لُغويَّةٌ " واقعيَّةٌ " مُقترحَةٌ ، في سبيلِهَا إلى التَّحقيقِ لأنَّـــــها جميعًا مَسبوقةٌ بفعلِ الأمرِ " المكرورِ " مِنْ جهَةٍ، و" المُتنوِّعِ " من جهةٍ أخرى . وفعلُ الأمرِ كما نعرِفُهُ في أثَرِهِ أو تأثيرِهِ كالفعلِ " المُضارِعِ " تمامًا، إذ يقعُ جُـــــزْءٌ منه في الحالِ ، ويمتدُّ بقيَّتُهُ، أو الجزءُ الأكبرُ منه إلى الاستقبالِ . وذلك يُبينُ سِرَّ الإعجازِ القرآنيِّ في تشكيلِ صورةِ الإنسانِ المثاليَّةِ والفاعلةِ

المحاضرة الخامسة

النص الثالث: كعب بن زهير يمدح الأنصار

مقدمة :

هذا النص يمثل الشعر في عصر صدر الإسلام، وفي هذا العصر دخلت مضامين جديدة في الشعر بسبب العقيدة الجديدة التي نبذت بعض العادات الجاهلية، وأقرت أخرى وأضافت إلى المنظومة الاجتماعية والفكرية شيئاً جديداً.مما جعل الشعر في هذا العصر مختلفاً عما كان عليه في العصر الجاهلي في المضمون ودلالات الألفاظ والأخيلة والصور.

وهذا النص نص مدحيّ والمدح من موضوعات الشعر الأساسية التي عُرفت منذ أن كان الشعر، واستمرت في كل العصور الأدبية المتلاحقة حتى وقتنا الحاضر.

الشاعر :

كعب بن زهير بن أبي سلمى. ويكنى أبا عقبة، وكان كعب شاعراً فحلاً مجيداً وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أهدر دمه لأبيات قالها لما هاجر أخوه بجير بن زهير إلى النبي صلى الله عليه وسلم فهرب. ثم أقبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم مسلماً فأنشده في المسجد قصيدته التي أولها: بانتْ سعادُ فقلبي اليومَ متبولُ. فيقال إنه لما بلغ إلى قوله:

إن الرسولَ لسيفٌ يُستضاءُ به ... مهنّدٌ من سيوفِ اللهِ مسلولُ

أشار رسول اله صلى الله عليه وسلم بكمّه إلى من حواليه من أصحابه أن يسمعوا، وفيها يقول:

الكلُّ ابنِ أنثى وإنْ طالتْ سلامتُه ... يوماً على آلةٍ حدباءَ محمولُ

نُبِّئتُ إنّ رسولَ اللهِ أوعدني ... والعفوُ عندَ رسولِ اللهِ مأمولُ

ثم أسلم كعب وأمنه النبي صلى الله عليه وسلم على حياته. وهو شاعر عالي الطبقة، من أهل نجد، كان ممن اشتهر في الجاهلية.

ولما ظهر الإسلام هجا النبي صلى الله عليه وسلم، وأقام يشبب بنساء المسلمين، فأهدر النبي صلى الله عليه وسلم، دمه فجاءه كعب مستأمناً وقد أسلم وأنشده لاميته المشهورة.

فعفا عنه النبي صلى الله عليه وسلم، وخلع عليه بردته.

وهو من أعرق الناس في الشعر: أبوه زهير بن أبي سلمى، وأخوه بجير وابنه عقبة وحفيده العوّام كلهم شعراء.

مناسبة القصيدة :

لما قال كعب بن زهير قصيدته اللامية(بانت سعاد) مدح فيها الرسول صلى الله عليه وسلم والمهاجرين، وعرض فيها بالأنصار، فلم يعجب ذلك الأنصار، بل لم يعجب المهاجرين أيضاً الذين قالوا، ما مُدحنا إن لم يُمدح الأنصار.

فقال كعبٌ قصيدته هذه يمدح فيها الأنصار ليزيل ما علق في النفوس بسبب القصيدة السابقة.

نص القصيدة :

الأبيات من (١-٤)

من سرّهُ كرَمُ الحياةِ فلا يزلْ في مَقْنَبٍ من صالحي الأنصارِ

تزنُ الجبالَ رزانةً أحلامُهم وأكفُّهم خَلَفٌ من الأمطارِ

المُكْرِهينَ السمهَريَّ بأذرُعٍ كصواقلِ الهنديِّ غيرِ قِصارِ

والناظرينَ بأعينٍ محمرّةٍ كالجمرِ غيرِ كليلةِ الإبصارِ

اللغة :

المَقنب	جماعة الفرسان	**الأحلام**	العقول
خلَف	الخلف ما يخلف الشيء وخلف من الأمطار: الخير الذي يخلف نزول المطر		
السمهريّ	الرمح	**صواقل**	جمع صاقل بمعنى مصقول
الهنديّ	السيف نسبة إلى الهند وكان يُضرب المثل بجودة السيوف الهندية		
كليلة	قاصرة، من كلّ الجسد إذا تعب		

معاني الأبيات

١. من أراد أن يحيا حياة كريمة شريفة فليعش بين الأنصار، فهم الفرسان الأقوياء.

٢. وهم أصحاب العقول الراجحة كأنهم الجبال في رزانتهم وثباتهم، وهم كرماء، تعطي أكفّهم بغير حساب كما يعطي المطر.

ويبدو أن الفرزدق قد أفاد من هذا المعنى وأضاف إليه، وذلك حين قال مفتخراً :

أحلامنا تزنُ الجبالَ رزانةً وتخالنا جنّاً إذا ما نجهلُ

٣. وهم شجعان يجيدون القتال بكل أنواع الأسلحة، وبسبب قوة أجسادهم فهم يطوّعون الرماح بأذرعهم القوية الطويلة كأنها السيوف الهندية المصقولة.

٤. وتعرف شجاعتهم وقوتهم بمجرد النظر إليهم، وعلامة ذلك احمرار عيونهم كأنها الجمر، مع إنها شديدة الإبصار.

وقد قال المتنبي فيما بعد:

ما قوبلتْ عيناه إلا ظُنّتا تحتَ الدُّجى نارَ الفريقِ حُلولا

الأبيات من (٥– ٨)

والذائدينَ الناسَ عن أدياهم بالمشرفيِّ وبالقَنا الخطّارِ

والباذلينَ نفوسَهم لنبيِّهم يومَ الَهياجِ وقُبّةِ الجبّارِ

دَرَبوا كما دَرَبتْ أسودُ خفيّةٍ غُلْظ الرقابِ من الأسودِ ضواري

وهمُ إذا خوتِ النجومُ فإنّهم للطائفينَ السائلين مقاري

اللغة :

المشرفيّ	السيف نسبة إلى المشارف، والمَشارِفُ قُرًى من أَرض اليمن وقيل من أَرض العرب تَدْنُو من الرِّيف		
الخطّار	الرمح الذي إذا هُزّ اهتزّ من أوله إلى آخره للينه فلا ينكسر		
الهَياج	المعركة	قبة الجبار	البيت الحرام، والواو قبلها للقسَم. دربوا: اعتادوا على القتال.
خفيّة	الخَفِيّة غَيْضة مُلْتَفّة يتّخِذُها الأَسدَ عَرِينَهُ وهي خَفِيّته ويُنشد		

أُسود شَرىً لاقَتْ أُسُودَ خَفِيَّةٍ تَسَاقَيْنَ سُمّاً كُلُّهُنّ خَوادِرُ

غُلظ الرقاب	رقابها غليظة	ضواري	مع ضاري أي مفترس
خوتْ النجوم	تعبير يراد به شح المطر	مقاري	مطعمون للضيوف، من القِرى

معاني البيات

١. إنهم–الأنصار– مدافعون عن الإسلام يجاهدون مع نبيهم بالسيوف القاطعة والرماح الطيّعة التي لا تنكسر.

٢. ويقسم الشاعر بالبيت الحرام أنهم يبذلون نفوسهم رخيصة دفاعاً عن دينهم ونبيهم في ساحات القتال.

٣. وهم بالإضافة إلى شجاعتهم ذوو خبرة ومعرفة بفنون القتال، ولهم أجساد قوية كالأسود المفترسة.

٤. وإذا حلّ بالناس الجدب والقحط وشحّت الأمطار فهم من يطعمون الناس والمحتاجين.

البلاغة والأسلوب

١– الصفات التي مدح بها الشاعر الممدوح هي نفسها الصفات المستعملة عند شعراء العصر الجاهلي كالكرم والشجاعة والحلم والمعنى الإسلاميّ الوحيد هو(بذل النفوس للنبي) ولولا هذا المعنى لما اختلف المضمون المدحيّ عما هو معروف في العصر الجاهليّ.

٢– في البيت الثاني كنايتان :

تزنُ الجبالَ رزانةً أحلامُهم وأكفُّهم خَلَفٌ من الأمطار

فالشطر الأول كناية عن حلمهم ووقارهم وهي كناية عن صفة.

وفي الشطر الثاني كناية عن كرمهم وهي كناية عن صفة أيضاً.

٣. البيت الثالث كناية عن صفة وهي الشجاعة والقوة الجسدية والنفسية. ويلزم من طول أيديهم القوة والشجاعة، وهو بذلك يرد ما كان قاله في قصيدة (بانت سعاد)حيث عرض بوصفهم بالجبن حينما وصفهم بالقصر.

٤. وفي البيت الرابع (أعين محمرة) كناية عن المهابة فيهم، ثم قال(غير كليلة الإبصار) احتراساً من أن يفهم أن ذلك بسبب مرض وهذا ما يسمى في البلاغة احتراس، ومثاله قوله تعالى:"وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ" فـــ(من غير سوء) احتراس من أن يفهم أن ذلك بسبب برص أو مرض.

٥. أكثر الشاعر من ذكر الأسلحة (المشرفي، القنا، صواقل، الهنديّ، السمهريّ) وهذا يؤكد شجاعتهم في الحروب، وهي الفكرة التي تلح على الشاعر بسبب ما كان منه في قصيدته(بانت سعاد).

٦. استعمل الشاعر اسم الفاعل للتعبير عن صفاتهم (المكرِهين، الناظرين، الباذلين...) وفي ذلك دلالة على ثبات صفاتهم، لأن الاسم يدل على الثبات أكثر من الفعل. قارن بين (الباذلين) و(الذين يبذلون). والباذلين مفعول به منصوب لفعل محذوف تقديره أخص أو أعني .

اويبدو كعب متأثراً في الأسلوب والمضمون بقول حسان بن ثابت عندما مدح الغساسنة بقصيدة منها:

الضّارِبُون الكَبْش يبرُقُ بيْضُهُ ضَرْباً يَطِيحُ لَهُ بَنانُ المَفْصِلِ

والخالِطُونَ فَقِيرَهمْ بِغنيّهِمْ والمُنْعِمُونَ على الضّعيفِ المُرْمِلِ

لكن حسان كان أقوى تعبيراً عندما جعل اسم الفاعل مرفوعاً، فهو خبر لمبتدأ محذوف تقديره هم، والجمل الاسمية أقوى وأثبت من الجمل الفعلية.

المحاضرة السادسة

من خطبة حِجة الوداع

مقدمة :

هذا نص نثري يمثل فن الخطابة في صدر الإسلام، وهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أوتي جامع الكلم، والقائل في حق نفسه:"أنا أفصح العرب بيد أني من قريش" قاله في حِجة الوداع، وجدير بك أن تفرّق بين الخِطبة والخُطبة من جهة وبين الحِجّة والحُجّة والحَجّة.

فالخِطبة بكسر الخاء هي طلب يد الفتاة للزواج والخُطبة بالضم هي الفن النثري موضوع حديثنا. والحِجة بالكسر: الحج إلى بيت الله، والحَجة بالفتح واحدة الحج، والحُجة بالضم: البرهان.

جو النص :

هذه خطبة الرسول في الحج، وسميت حجة الوداع لأن الرسول صلى الله عليه وسلم انتقل بعدها إلى الرفيق الأعلى. فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : فسار الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام كما كانت قريش تصنع في الجاهلية ، فأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى عرفة ، فوجد القبة قد ضربت له بنمرة ، فنزل بها حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له ، فأتى بطن الوادي ، فخطب الناس وقال.....

نص الخطبة :

أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّ لَكُمْ مَعَالِـــــــــــمَ فَانْتَهُوا إِلَى مَعَالِمِكُمْ ، وَإِنَّ لَكُمْ نِهَايَةً فَانْتَهُوا إِلَى نِهَايَتِكُمْ ؛ فَإِنَّ الْعَبْـــــــــــدَ بَيْنَ مَخَافَتَيْنِ : أَجَلٍ قَـــدْ مَضَى لاَ يَدْرِي مَا اَللهُ صَانِعٌ بِهِ ، وَأَجَلٍ قَدْ بَقِيَ لاَ يَدْرِي مَا اللهُ قَاضٍ فِيهِ ؛ فَلْيَأْخُذِ الْعَبْدُ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ وَمِنْ دُنْيَاهُ لآخِرَتِهِ ، وَمِنَ الشَّبِيبَةِ قَبْلَ الْكِبَرِ ، وَمِنَ الْحَيَاةِ قَبْـــــــــلَ الْمَمَاتِ ؛ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ مُسْتَعْتَبٍ ، وَلاَ بَعْدَ الدُّنْيَا مِنْ دَارٍ إِلاَّ الْجَنَّةَ أَوِ النَّارَ، أيها الناس : إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا ، ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها

النص :

واستوصوا بالنساء خيرا ، فإنهن عوانٍ عندكم لا يملكن لأنفسهن شيئا، إنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، فاتقوا الله في النساء ، واستوصوا بهن خيرا ، ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد . أيها الناس : إنما المؤمنون إخوة ، ولا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه ، ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد ، فلا ترجعن بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض. أيها الناس : إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب ، أيها الناس إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربي فضل على أعجمي إلا بالتقوى.

اللغة :

مَعَالِمُ	مُفردُها : مَعْلَمٌ ، وهو الأثرُ يُستَدَلُّ به على الطَّريقِ				
مُستَعْتَبٌ	اِستَعْتَبَ وأَعْتَبَ بمعنىً واحدٍ ، وهو سرَّهُ بعدما ساءَهُ. ويقالُ أيضًا : اِستَعْتَبَ : بمعنى طلب أَنْ يُعْتَبَ.				
يومكم هذا	يوم عرفة	شهركم هذا	ذو الحجة	بلدكم هذا	مكة
عوانٍ	جمع عانية، والعاني الأسير، والمعنى أسيرات عندكم				

البلاغة والأسلوب :

١- امتازت خطب الرسول صلى الله عليه وسلم ببراعة الاستهلال وقد استهلّ هذه الخطبة بمؤثرين، أولهما النداء بما فيه من تنبيه للسامع وجلب انتباهه، وثانيهما: جملة مؤثرة لم نذكرها في النص السابق، وهي قوله صلى الله عليه وسلم:''لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا'' فهذه جملة مؤثرة من قائد محبوب إلى جنوده ومن نبي الرحمة إلى أمته ومن معلم محبوب إلى طلابه، فأيّ استماع سيعقبها، وأي آذانٍ ستشنَّف لاستماع خطاب قد يكون الأخير من نوعه من رجل أحبه المستمعون كل الحب. وهي جملة مؤثرة بما فيها من استشراف للغيب وتنبؤ بالمستقبل الذي يميل كل الناس لمعرفته.

٢- المراوحة بين الأسلوبين الخبري والإنشائي فقد كان صلى الله عليه وسلم يستعمل النداء بشكل متكرر(أيها الناس) حرصاً منه على شد الأسماع وجذب العقول وهذا مناسب لفن الخطابة، كما كرر أسلوباً إنشائياً آخر وهو الاستفهام(ألا هل بلغت) والاستفهام يتطلب ربط المتكلم بالسامع.

٣- يحتاج فن الخطابة إلى مواءمة بين العقل والعاطفة وقد برع الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك، فالعقل حاضر في الخطبة (فَإِنَّ الْعَبْـــــــــــدَ بَيْنَ مَخَافَتَيْنِ) و(إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب)

كما كانت العاطفة أيضاً حاضرة، فانظر إلى قوله في النساء(فإنهن عوانٍ عندكم)فهذه صورة تستثير عاطفة المستمع وتجعله حريصاً على تنفيذ المطلوب.

٤- الاعتماد على الجمل القصيرة المتوازنة في الطول والمتقابلة في المعنى، مثل:''إِنَّ لَكُمْ مَعَالِـــــــــــمَ فَانْتَهُوا إِلَى مَعَالِمِكُمْ وَإِنَّ لَكُمْ نِهَايَةً فَانْتَهُوا إِلَى نِهَايَتِكُمْ'' و''أَجَلٍ قَـــدْ مَضَى لاَ يَدْرِي مَا اَللَّهُ صَانِعٌ بِهِ ، وَأَجَلٍ قَدْ بَقِيَ لاَ يَدْرِي مَا اللهُ قَاضٍ فِيهِ'' فانظر إلى التقابل بين: مضى وبقي، وصانع وقاض، ثم انظر إلى عدد الكلمات في كل من الجملتين!!!!

٥- هناك بعض المحسّنات اللفظية التي جاءت عفو الخاطر ودون قصد كالسجع مثلاً''وَلاَ بَعْدَ الدُّنْيَا مِنْ دَارٍ إِلاَّ اَلْجَنَّةَ أَوِ النَّارَ'' وقوله''فَانْتَهُوا إِلَى مَعَالِمِكُمْ... فَانْتَهُوا إِلَى نِهَايَتِكُمْ'' والطباق بين الشبيبة والكبر والحياة والممات والدنيا والآخرة. وهذه المحسنات تضفي جمالاً على النص كما إنها أداة فاعلة في فهم المعنى وتعميقه.

٦- جمال التصوير. فقد صور الرسول صلى الله عليه وسلم العبد في حياته وهو يعيش بين مخافتين، فهي صورة حية واقعية كأنك تشعر بها أو تراها ماثلة أمام عينيك ومن ذلك أيضاً تصوير النساء بالأسيرات، فهي صورة تثير المشاعر تجاه النساء وهي صورة معبرة عن الواقع .

ومن ذلك تصوير حالة المسلمين غير المرغوب فيها التي قد تكون: كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، فكأنك ترى هذه الصورة بل كأنك أمام معركة حقيقية.

٧- دقة الألفاظ ومناسبتها الدقيقة للمعاني، من ذلك كلمة العبد في '' إن العبد بين مخافتين'' فالذي يعيش بين مخافتين هو العبد والعبد فقط وليس الإنسان ولا الرجل، لأن هذا المعنى إيمان ليس موجوداً إلا عند العبد الحقيقي.

ومن دقته صلى الله عليه وسلم في استعمال الألفاظ قوله:''أَجَلٍ قَـــدْ مَضَى لاَ يَدْرِي مَا اَللَّهُ صَانِعٌ بِهِ ، وَأَجَلٍ قَدْ بَقِيَ لاَ يَدْرِي مَا اللهُ قَاضٍ فِيهِ'' فاستعمل (به) مع الأجل الماضي لأنه انتهى وليس فيه أحداث ستقع، لذا فالعبد ينتظر ما يصنع الله بهذا الأجل واستعمل (فيه) مع المستقبل لأن العبد يفكر فيما سيحدث في هذا الزمان من أحداث و(في) حرف يفيد الظرفيه، تقول: ما صنعت بالدار؟ أي ماذا تصرفت بها. وتقول: ماذا صنعت في الدار؟ أي ماذا صنعت بداخلها.

ومن ذلك كلمة(ربكم) و لم يقل إلهكم أو الله لأن محتوى الخطبة له علاقة بالملك والتصرف من أموال ودماء ونساء، لذا جاء التركيز على الربوبية التي تعني أن الله هو المالك لكل شيء المتصرّف فيه.

٨- اعتمد الرسول صلى الله عليه وسلم على التوكيد بأساليبه المختلفة كالقسم(والذي نفسي بيده) والتكرار(يومكم هذا شهركم هذا بلدكم هذا، واللهم اشهد) والتوكيد اللغوي سواء أكان ب(إنّ) حيث تكررت فيما اخترناه من النص تسع مرات وكانت تستعمل مع كل معنى تقريباً، أو ب (نون التوكيد) في قوله: لا ترجعُنّ.

والموقف يقتضي التوكيد، فهذه توجيهات من معلّم مودّع، يريد أن يطمئنّ على أحوال الأمة ويقرر تلك الحقائق في أذهانهم، فلا بد من توكيد تلك الحقائق، واستعمال كل الوسائل الممكنة في ذلك. ألم يحدث ما كان يخشاه الرسول صلى الله عليه وسلم؟ ألم يرتدّ بعض المسلمين؟ ألم تحدث الفتنة وضرب المسلمون رقاب بعض؟ وهذا يدل على استشراف الرسول للمستقبل. ''إن هو إلا وحي يوحى

الخلاصة :

لقد جاء أسلوب الخطبة بما فيه من ألفاظ ومعانٍ وصور وأساليب لغوية مناسباً لبلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم وفصاحته ومتوائماً مع ما يتطلبه فن الخطابة من ألفاظ جزلة وأسلوب يعتمد على العقل من جهة والعاطفة من جهة أخرى، وخير دليل على ذلك أن الصحابة بكوا لما سمعوا الخطبة مما يدل على أنه نجح في التأثير في السامعين.

المحاضرة السابعة

ذئب على مائدة الفرزدق

مقدمة :

هذا نص شعريّ يمثل الشعر في العصر الأموي، هذا العصر الذي ازدهر فيه الأدب وحظي الشعراء بمنازل رفيعة عند خلفاء بني أمية الذين شجعوا الأدب والأدباء.

وهو نص وصفي يقوم على التصوير القصصي الحواري والوصف أحد أغراض الشعر العربي المعروفة منذ العصر الجاهلي لكن الأسلوب القصصي الحواري لم يكن شائعاً في الشعر العربي القديم.

وشاعرنا اليوم هو أحد فحول الشعر العربي الذين ملأت سمعتهم الآفاق.

جو النص :

شاعرنا في هذا النص هو الفرزدق واسمه همّام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي، يكنى أبا فراس، ولقّب بالفرزدق لجهامة وجهه وغلظه، وقيل لقّب بالفرزدق لشبه وجهه بالخبزة وهي فرزدقة.

وكان الفرزدق لا ينشد بين يدي الخلفاء والأمراء إلا قاعدا، وأراد سليمان بن عبد الملك أن يقيمه فثارت طائفة من تميم، فأذن له بالجلوس .

وهو شاعر من النبلاء، من أهل البصرة، عظيم الأثر في اللغة .

يشبه بزهير بن أبي سلمى وكلاهما من شعراء الطبقة الأولى، زهير في الجاهليين، والفرزدق في الإسلاميين.

وهو صاحب النقائض مع جرير والأخطل، ومهاجاته لهما أشهر من أن تذكر. والنقائض جمع نقيضة وهي قصائد هجاء دارت بين الفرزدق والأخطل وجرير فإذا قال أحدهم قصيدة رد عليه الآخر ونقض ما جاء به بقصيدة من نفس البحر والقافية.

وقد فضله كثير من النقاد على صاحبيه، وقالوا: الفرزدق ينحت من صخر وجرير يغرف من بحر، إشارة إلى قوة شعر وجزالة ألفاظه.

وقالوا أيضاً : لولا الفرزدق لضاع ثلث اللغة.

وكان شريفاً في قومه، عزيز الجانب، يحمي من يستجير بقبر أبيه.

وتوفي في بادية البصرة، وقد قارب المائة عام .

يصور الشاعر في هذه الأبيات جانباً من حياته مع الحيوان، ليعبر من خلالها عن شجاعته وشهامته وكرمه، فيحكي لنا قصة ذئب صادفه في أثناء بعض رحلاته في الليل، وجرى بينهما حوار وصف فيه الشاعر الذئب ثم دعاه إلى مائدة طعامه وتقاسما الطعام.

وذكر الحيوانات في الشعر كثير، إذ تعرض الشعراء القدامى للحيوانات الأليفة والوحشية وصوروا مواقف وقصصاً معها، ولعلّ الناقة من أكثر الحيوانات ذكراً في أشعار العرب ثم الخيل التي تعد ملاذ العرب وحصنهم الحصين كما وصفوا البقر الوحشي وحمار الوحش وكلاب الصيد والأسد والذئب.

النص الأبيات من (١-٥)

١. وأطلَسَ عَسَّالٍ وَمَا كَانَ صَاحِباً ... دعوْتُ لنَارِي مَوْهِناً فأَتانِي
٢. فَلَمَّا أَتَى قُلْتُ: ادْنُ دونَكَ إنَّني ... وإيَّاكَ في زَادِي لَمُشْتَرِكانِ!

٣. فبتُّ أُقَدُّ الزَّادَ بَيْني وبَيْنَه ... على ضوءِ نارٍ مرةً ودُخَانِ

٤. فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تكَشّر ضاحِكاً... وقَائِمُ سَيْفي مِنْ يَدِي بِمكَانِ

٥. تَعَشَّ فَإِنْ عاهَدْتَنِي لا تخونني... نكُنْ مِثْلَ مَنْ يا ذِئْبُ يصْطَحِبَانِ

اللغة :

وأطلس	أي ورُبَّ ذئب أطلس، والأطلس: الأغبر اللون		
العسال	الذي يضطرب في مشيه فيمشي يميناً وشمالاً		
دعوت لناري	يقول: لما رأى ناري أقبل إلي، وكأن النار دعته. ويروى: رفعتُ لناري، وهذا من المقلوب كما يقال: أدخلت الخاتم في أصبعي وإنما الوجه: أدخلت أصبعي في الخاتم ، وكذلك الوجه: رفعت له ناري		
موهناً	ليلاً	ادنُ	أمر بالقرب. دونك: أمر بالأكل
أقدّ	أقطع	تكشر	تكشفت أسنانه

معنى الأبيات

١. ربّ ذئب أغبر اللون خطير ليس له صاحب، رآني في جوف الليل أوقد ناري، فاعتبر ذلك دعوة له فأتاني.

٢. فلما رأيته قريباً مني طلبته أن يقترب أكثر ودعوته لطعامي كي يشاركني فيه.

٣. فظللت تلك الليلة أقسّم الزاد بيني وبينه مرة على ضوء النار ومرة في الظلام وعتمة الدخان.

٤ و٥. فلما رأيته قد كشّر عن أنيابه وبدت عليه معالم الغدر ومقبض سيفي بيدي قلت له: أكمل عشاءك فإن لم تخني كنا صديقين وفيين.

البلاغة والأسلوب

أولاً: خلع الشاعر على الذئب صفات بشرية من بداية القصيدة وراح يحاوره على أنه عاقل وهذا ما يسمى بالتشخيص وهو خلع المعاني الإنسانية على ما لا يعقل.

ثانياً : استعان الشاعر بأفانين البلاغة فاستعمل الكناية في قوله: ما كان صاحباً،كناية عن خطورة الذئب وغدره، وبتّ أقد الزاد: كناية عن حسن المعاشرة والاطمئنان لجواره، وقوله: وقائم سيفي من يدي بمكان، كناية عن حذره واستعداده وتيقّظه.

ثالثاً : اختار الشاعر معاني جميلة سعى من خلالها للتعبير عن شجاعته وقوة بأسه، فالذئب ليس صاحباً ولا يقدر على مجالسته إلا الشجعان. والوقت منتصف الليل(موهناً) وهذا يزيد من الخوف والوحشة. والدخان أحياناً يحجب الرؤية مما يزيد الأمر تعقيداً.

رابعاً : استعمل الشاعر ألفاظاً ذات دلالات موحية فلفظ(تكشّر) بما فيه من التضعيف وصوت الشين المتفشي وصوت الرار المتكرر يوحي بالرهبة والخوف، لكنه أتبعه بقوله (ضاحكاً) ليظهر عدم خوفه من الذئب.

خامساً : يقوم النص على الحوار الذي يظهره قوله (قلت)مرتين في هذه الأبيات.

سادساً : يبدو أن الفرزدق في هذا النص متأثر بشعر لامرئ القيس لما وصف ذئبا وكلمه ودعاه إلى الصحبة:

وماءٍ كلوْن البول قد عاد آجنا ... قليلٍ به الأصوات في كلأ مَحل

لقيتُ عليه الذِّئب يَعوي كأنه ... خَلِيعٌ خَلاَ مِن كلِّ مَالٍ ومِن أهلِ

فقلت له يا ذِئبُ هَل لَكَ في أخٍ ... يواسي بِلاَ أُثْرَى وَلاَ بُخْلِ

فقال: هَدَاك اللّهُ إنَّكَ إنَّما ... دَعوْتَ لِمَا لَمْ يَأْتِهِ سَبُعٌ قَبْلِي

الأبيات من (٦-٨)

٦. وأنتَ امْرُؤٌ يا ذئب والغدر كنتما ... أُخَيَّينِ كَانَا أُرْضِعا بلبَانِ!

٧. ولو غَيرنَا نَبَّهْتَ تلتمس القِرَى ... رَمَاكَ بِسَهْمٍ أوشَبَاةِ سِنَان

٨. كُلُّ رَفِيقَيْ كلِّ رَحْلٍ، وَإن هُما ....تعاطَى القَنَا قَوْماهُما، أخَوَانِ

اللغة :

أخيينِ	أخوين لكنه استعمل اللفظ مصغّراً	شباة السنان	حدّ الرمح وهو الطرف الحاد من مقدمته
القِرى	طعام الضيف	القنا	الرماح، وتعاطى القنا: أي دارت الحرب بينهما

معاني الأبيات

٦. أنت يا أيها الذئب معروف بالغدر، وهذا طبع ملازم لك، فكأنك رضعت الغدر من أمك مع الحليب.

٧. لو توجهت لغيري تطلب منه الطعام لرماك بسهم ينشب في أحشائك أو طعنك برمح حاد .

٨. ويذكّر الشاعرُ الذئب بأن كل شخصين تجمعهما الأسفار يصيران كالأخوين حتى وإن نشبت الحروب بين قوميهما.

البلاغة والأسلوب

أولاً: لجأ الشاعر إلى التشبيه البليغ- وهو التشبيه الذي حذفت منه الأداة ووجه الشبه مثل: كنتما أخيين، فقد شبه الذئب والغدر بالأخوين، والتشبيه البليغ فيه قوة في الدلالة على المعنى المقصود.

ثانياً: لجا الشاعر إلى التكرار لتوكيد المعنى، فقال: كنتما أخيين كانا، فهذا توكيد يدل على تاصيل صفة الغدر في الذئب. وقوله: كلّ رفيقي كلّ رحل، وهذا تأكيد على مبدأ صحبة رفيقي الدرب في كل الأحوال.

ثالثاً: عبر الشاعر عن الذئب بلفظ (امرؤ) وهذه قمة التشخيص وفي ذلك إشارة إلى رباطة جأش الشاعر وشجاعته، فلم يكن يرى أمامه ذئباً وإنما يرى إنساناً.

رابعاً: دقة الشاعر في استعمال اللفظ، فقد عبر عن علاقة الذئب بالغدر ب(أخيين) مستعملاً التصغير وفي ذلك دلالتان، أولاهما أنه رفيق الغدر منذ الصغر، وثانيتهما أن الغدر محبب له لأن صيغة التصغير تفيد التحبب، وفي قوله: (كنتما) دليل على قدم علاقة الغدر. وتقديم الشاعر للغدر على كنتما دليل على تركيز الشاعر على هذه الصفة في الذئب.

خامساً: لجا الشاعر على أسلوب المقارنة والموازنة ليظهر كرمه وشجاعته، وذلك عندما قارن بينه وبين غيره في التعامل مع الذئب في البيت السابع (ولو غيرنا نبهت...)

سادساً: في البيت الثامن :

٨. كُلُّ رَفيقَيْ كلِّ رَحْلٍ، وَإن هُما ....تعاطَى القَنَا قَوْماهُما، أخَوَانِ

انظر إلى الضمير (هما) تجده زائداً يستقيم المعنى من دونه، فما أهميته في النص؟ يظهر الشاعر من خلال هذا الضمير تركيزه على صحبة الرفيقين ، فكأنهما معزولان عن أهلهما وقومهما، فهما مستقلان لذلك استقلا بهذا الضمير.

أولاً : كان الشاعر موفقاً في بسط السياق القصصي بإيجاز غير مخل بإكمال كل نواحي البناء القصصي، فصور البيئة الزمانية للأحداث فهي جوف الليل الهادئ الساكن المظلم، وصور البيئة المكانية ممثلة في هذا المكان البعيد عن الناس حول كومة من الحطب، تشتعل مرة وتنطفئ مرة أخرى ثم يبدأ بوصف الأحداث، فالذئب يشتم رائحة الشواء فيبدأ بالاقتراب ويبدأ الحوار بينهما لكنه حوار من طرف واحد واصفا من خلاله استعداده وحذره.

ثانياً : نجح الشاعر في التعبير عن شجاعته مستثمراً في سبيل ذلك التشبيه والصور والألفاظ والتراكيب المناسبة.

ثالثاً : تظهر في النص بعض العادات الاجتماعية عند العرب، منها كثرة الأسفار وإيقاد النيران ليلاً، وعلاقة المسافرين مع بعضهم وعدم غدرهم ببعضهم، وكرم العربي الذي يقاسم ضيفه طعامه دون أن يعرفه ..

المحاضرة الثامنة

خطبة الحجاج بن يوسف الثقفي

مقدمة :

هذا نص أدبي اخترناه مثالاً على الخطابة في العصر الأموي، واخترناه لشهرته في الأدب العربي والتراث اللغوي، فما ذكرت الخطابة إلا ذكر هذا النص، وما ذكر الحجاج إلا ذكرنا هذه الخطبة، بل إن بعض جمله صارت أمثالاً يرددها الناس في حياتهم اليومية.

وهو من النصوص الفصيحة التي لا يمكن تحليلها في محاضرة أو محاضرتين، لكنا اخترنا منها مقاطع ووقفنا عند عمومها دون الخوض في دقائقها لقناعتي أنكم تتذوقون جمالها دون مساعدة.

الحجاج بن يوسف

الحَجَّاج بن يوسف الثقفي (٤١ - ٩٥هـ، ٦٦١ - ٧١٣م)

من فصحاء العرب، ويعد في الذروة من أهل الخطابة والبيان في العصر الأول. وهو سياسي محنك، وقائد عسكري وخطيب مفوه. من دعائم دولة الأمويين حيث نصر حكمهم بيده ولسانه.

وُلد في الطائف ونشأ بها، وتلقى تعليمه الأول على يدي والده؛ إذ كان معلم صبيان، فامتهن مهنة أبيه في شبابه. ويذكر بعض المؤرخين امتهانه الدباغة أو بيع الزبيب. وكان قصيرًا دميمًا قاسيًا.

وقد كانت الظروف التاريخية التي أعقبت وفاة معاوية بن أبي سفيان، وإمرة ابنه يزيد وما حفلت به من اضطرابات وفتن؛ قد دفعت به إلى الحياة العسكرية، فأظهر فيها قدرته على القيادة، مما جعل عبد الملك بن مروان يوليه إمرة الجيش المكلف بالقضاء على حركة عبد الله بن الزبير بمكة، فلم يترك وسيلة لإثارة الرعب إلا ركبها، فحاصر مكة وضربها بالمنجنيق، فتفرقت الجموع من حول ابن الزبير حتى قتل فصلبه الحجاج، ولم ينزله من مكان صلبه إلا بأمر عبد الملك، فكافأه عبد الملك على هذا النجاح بتوليته العراق إضافة إلى الحجاز.

مناسبة النص :

بعد أن عينه عبد الملك على العراق واليًا، حيث الفتن تمور، وهيبة الدولة مستباحة وسلامتها مهددة؛ إذ كثرت أعمال العصيان والتمرد والتعدي على الولاة وطردهم، قرر الحجاج إعمال القسوة وسياسة القبضة القوية، كما يظهر من بياناته الأولى في خطبتي التتويج في الكوفة والبصرة، وضرب العصبيات بعضها ببعض، ثم عمل على احتوائها واستثمار عنفوانها في القضاء على الخوارج وأشكال التمرد في أطراف الدولة.

ولهذا عرف بأنه اليد القوية لعبد الملك بن مروان في تأسيسه الثاني للدولة الأموية وتثبيت دعائمها. فلما ولي الحجاج العراق ذهب على الكوفة فبدأ بالمسجد فصعد المنبر وهو متلثم بعمامة خز حمراء فقال: علي بالناس وهو ساكت قد أطال السكوت، فتناول محمد بن عمير حصباء وأراد أن يحصبه بها وقال: قاتله الله ما أغباه وأذمه! فلما تكلم الحجاج جعلت الحصباء تنتثر من يده وهو لا يعقل بها، قال: ثم كشف الحجاج عن وجهه وقال:

وهذه مقتطفات من خطبته .....

نص الخطبة :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا ... متى اضع العمامة تعرفوني

والله يا أهل العراق، إني لأرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها، وإني لصاحبها، والله لكأني أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى وإن أمير المؤمنين عبد الملك نثر كنانته بين يديه فعجم عيدانها عودا عودا فوجدني أمرّها عودا وأشدّها مكسرا فوجهني إليكم ورماكم بي. يا أهل العراق، أهل الشقاق والنفاق، ومساوئ الأخلاق، لأنكم طالما أوضعتم في الفتنة، واضطجعتم في منام الضلال لأعصبنّكم عصب السلمة ، ولأضربنكم ضربَ غريبة الإبل. إني والله لا أحلف إلا صدقت، ولا أعد إلا وفيت. أقسم بالله لتقبلُن على الإنصاف، ولتدعُنّ الإرجاف، وقيلاً وقالاً وما تقول وما يقول وأخبرني فلان، أو لأدعن لكل رجل منكم شغلاً في جسده! فيم أنتم وذاك؟ والله لتستقيمُنّ على الحق أو لأضربنّكم بالسيف ضرباً يدع النساء أيامى، والولدان يتامى، حتى تذروا السمهى وتقلعوا عن ها وها.

يأهل العراق إنما أنتم أهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان، فكفرتْ بأنعُم الله فأتاها وعيد القرى من ربها، فاستوثقوا واعتدلوا ولا تميلوا واسمعوا وأطيعوا وشايعوا وبايعوا.

واعلموا أن ليس مني الإكثار والإهذار إنما هو انتضاء هذا السيف ثم لا يغمد الشتاء ولا الصيف وإن أمير المؤمنين أمرني أن أعطيكم أعطياتكم وأشخصكم لمجاهدة عدوكم وعدو أمير المؤمنين وقد أمرت لكم بذلك وأجلتكم ثلاثا وأعطيت الله عهدا يؤاخذني به ويستوفيه مني لئن تخلف منكم بعد قبض عطائه أحد لأضربنّ عنقه وأنهبنّ ماله.

اللغة ومعاني الكلمات

ابن جلا	رجل واضح لا يخفي شيئاً.			
طلاع الثنايا	لمن جرب الأمور وأحكمها. والثنايا جمع ثنيّة وهي: الطريق في الجبل			
أينعت	نضجت	الكنانة	التي يكون فيها السهام وتوضع على الظهر	
عجمها	اختبر عيدانها بعدما لاكها بفمه			
السلمة	شجرة ذات شوك فتضرب بشده حتى تعصب فلا تؤذي بشوكها حاطبها.			
غريبة الإبل	ما يدخل في جماعة الإبل من الإبل الغريبة عند ورود الماء فتضرب حتى تخرج			
أرجف	أرْجَفَ القومُ إذا خاضُوا في الأَخبار السيئة وذكر الفتَنِ وقد ذكراللّه تعالى المُرْجِفُونَ في المَدينةِ وهم الذين يُوَلِّدُونَ الأَخبارَ الكاذبه			
الأيامى	جمع أيّم وهي التي لا زوج لها	السمهى	الباطل	

الأفكار الرئيسة في النص

١. بيان الحجاج لشدته وقوته وسياسته في الحكم المبنية على الشدة والقسوة.

٢. بيان الحالة التي وصل لها أهل العراق من الشقاق والنفق والسعي وراء الفتن واتباع الإشاعات والأقاويل.

٣. بيان أن اختياره كان مبنياً على حكمة ودراية وليس عشوائياً.

٤. بين أنه أرسل إليهم عقوبة على كفرانهم نعم الله.

٥. تهديد أهل العراق إذا لم ينهضوا لحرب العدو بقتلهم ونهب أموالهم.

البلاغة والأسلوب :

أولاً : كان الحجاج بارعاً في استهلال خطبته حيث بدأ بداية قوية تظهر بأسه وشدته وملاءمته للولاية في بلد هذا حاله، يحتاج إلى الشدة والقوة. وكان هذا الاستهلال مناسباً للحال إذ كان ملثماً ثم أماط اللثام.

ثانياً : يزخر النص بالتشبيهات والاستعارات والكنايات والصور الفنية، من ذلك:

١. إني لأرى رؤوساً قد أينعت: شبه الرؤوس بالثمار التي تنضج ثم حذف المشبه به على سبيل الاستعارة المكنية.

٢. وإني أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى: صورة مستشرفة لما سيكون عليه الوضع حيث صور الدماء تجري بين عمائم الرجال ولحاهم وهي صورة مخيفة تجعل القلوب ترتجف خوفاً.

٣.تشبيهات كثيرة مثل: لأعصبنكم عصب السلمة، لألحونكم لحو العود...الخ فيها دلالة على شدة العقوبة وبأس الحجاج.

٤. واضطجعتم في منام الضلال: شبه الوقوع في الضلال بالاضطجاع على سبيل الاستعارة التصريحية.

فكر: ابحث عن تشبيهات أخرى.

ثالثاً : نجح الحجاج في الإفادة من مصادر التراث اللغوي كالقرآن الكريم في قوله: إنما أنتم أهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا.... ومن الأمثال العربية التي أكثر منها كثرة واضحة قوله: أنا ابن جلا، ولأعصبنكم عصب السلمة، ولأضربنكم ضربَ غريبة الإبل.

رابعاً : اتكأ الحجاج على المحسنات اللفظية بشكل واضح، فهناك السجع في قوله: يا أهل العراق، أهل الشقاق والنفاق، ومساوئ الأخلاق،وقوله: أقسم بالله لتقبلن على الإنصاف، ولتدعن الإرجاف وغيرها كثير.

خامسا : استعمل أسلوبي النداء والاستفهام مما يناسب فن الخطابة ويشد أسماع الجمهور: يا أهل العراق، فيمَ أنتم وذاك؟

سادس : لجأ إلى التوكيد كثيراً وما أحوجه إلى ذلك فهو والٍ جديد لا يعرفه الناس وهو والٍ لأناسٍ اعتادوا الفوضى والفتن فلا بد من أن يقرّ في أذهانهم ما هو فاعله **ومن أمثلة التوكيد:**

القسم بالله (والله لا أحلف إلا صدقت) واستعمال حرف التوكيد إنّ أكثر من ثماني مرات ونون التوكيد الثقيلة ما يقارب سبع مرات ولام التوكيد ما يقارب أربع عشرة مرة.

سابعاً : جزالة ألفاظه وقوة جرسها مناسب تماماً لموضوع الخطبة فانظر إلى تلك الألفاظ: لأعصبنك، أضربنكم، ضرباً، اضطجاع. أمرّها عوداً، أشدّها مكسراً.

ثامناً : الدقة في اختيار الألفاظ: وخير مثال يوضح ذلك قوله: وتقلعوا عن ها وها، فهذا اللفظ(ها ها) يصور تماماً تلك الوشوشات والهمسات التي تنطلق في الشوارع والأزقة، وصوت الهاء صوت خفي يناسب خفاء تلك الأصوات التي دائماً تعاني من الخوف.

المحاضرة التاسعة

موشح ابن زهر

مقدمة :

تمثل الموشحات ولادة جديدة للشعر العربي في العصر الأندلسي، حيث كانت خروجاً عن عمود الشعر العربي، مع الحفاظ على أوزان الخليل بن أحمد الفراهيدي، ولكن بقالب جميل يناسب الغناء والطبيعة الخلابة التي اشتهرت بها الأندلس، كما وصفت حياة البذخ والترف ومجالس اللهو والطرب،والخروج عن المألوف. يقول لسان الدين بن الخطيب عن الموشّحات:''وهي من الفنون التي أغرب بها أهل المغرب على أهل المشرق، وظهروا فيها كالشمس الطالعة والضياء المشرق''.

ومن أشهر الوشّاحين في العصر الأندلسي لسان الدين بن الخطيب وابن زمرك والأعمى التطيلي وعبادة القزاز وابن ماء السماء وابن زهر الأشبيلي.

وتنوعت أغراض الموشحات لتطال كافة أغراض الشعر العربي من مدح وهجاء ورثاء وغزل، لكن جمالياتها ظهرت في الغزل ووصف الطبيعة أكثر من أي غرض آخر.

وسميت الموشحات بهذا الاسم نسبة إلى وشاح المرأة لما فيها من تلونات موسيقية تشابه التلونات والزركشات في الوشاح.

والنص المختار (موشحة ابن زهر) من النصوص الجميلة التي تشهد بتفوق الأندلس في هذا الفن، وتطرب الآذان بما فيها من جماليات سنأتي عليها في الشرائح المقبلة.

ابن زهر :

ابن زهر الطبيب أبو بكر الإيادي الإشبيلي نسبة إلى أشبيلية في الأندلس.أخذ علم الطب عن جده أبي العلاء وعن أبيه، وانفرد بالإمامة في الطب في زمانه مع الحظ الوافر من اللغة والأدب والشعر، والحظوة عند الملوك،وكان سمحاً جواداً.

وكان يحفظ صحيح البخاري متناً وإسناداً ويحفظ شعر ذي الرمة وهو ثلث اللغة.

وقد شرّقت موشّحاته وغرّبت بسبب جودتها وجمالها وعذوبة موسيقاها.

مناسبة النص :

كان ابن زهر في مجلس أنس وطرب وكما هو معروف في هذه المجالس من وجود الغلمان المرد ''أي الغلمان الصغار''والفتيات الجميلات، أما وظيفة الغلمان فيقومون بصب أقداح الخمر وتوزيعها على الشاربين، ووظيفة الفتيات الرقص والغناء.

انتشر في الأندلس ظاهرة الغزل بالغلمان وهذا ابن زهر يظهر براعته في وصف الغلام الذي هام في حبه كما يدعي في الموشحة.

نص موشحة ابن زهر

أيها الساقي إليك المشتكى قد دعوناك وإن لم تسمع

وَنديمٍ هِمْتُ في غُرّتِـــــــــهِ

وشربتُ الرّاحَ من راحتِهِ

كلما استيقظَ من غفوته

جذبَ الزِقَّ إليه واتكا وسقاني أربعاً في أربَعِ

غصن بان مال من حيث استوى

بات من يهواه من فرط الجوى

خافق الأحشاء موهون القوى

كلما فكّرَ في البينِ بكى ما له يبكي لما لم يقعِ

ليس لي صبرٌ ولا لي جلدُ

يا لقومي عذلوا واجتهدوا

أنكروا شكواي مما أجدُ

مثل حالي حقه أن يشتكى كمدَ اليأس وذلَّ الطمع

ما لعيني عشيت بالنظرِ

أنكرت بعدك ضوء القمرِ

وإذا ما شئت فاسمع خبري

موشحة ابن زهر

شقيت عيناي من طول البكا وبكى بعضي على بعضي معي

كبد حرى ودمـــــــع يَكِفُ

يعرف الذنب ولا يعترف

أيها المعرض عما أصف

قد نمى حبك عندي وزكا لا تقل في الحب أني مدعي

اللغة ومعاني الكلمات :

الساقي	ساقي الخمر	النديم	الرفيق في شرب الخمر. هِمتُ: الهُيام: شدة العشق				
الغرّة	مقدمة الرأس او الخمرة	الجبهة	الراح	راحته	باطن يده	الزقّ	وعاء الخمر
البان	شجر طويل معتدل السيقان	الجوى	شِدَّةِ الوَجْدِ من عشق أَو حزن			عذلوا	لاموا
موهون القوى	ضعيف القوى	البين	شجر طويل معتدل السيقان			الكمد	أشدّ الحزن
عشيت بالنظر: العشا	ضعف البصر، وقيل إنه ضعف البصر في الليل خاصة.			دمع يكف			يسيل
زكا	زاد ومن هنا اشتقت الزكاة لأنها تزيد المال وتنميه						

أجزاء الموشح : يختلف نظام الموشح عن نظام القصيدة العمودية، فالموشح يبدأ بمطلع عبارة عن سطرين يشبهان بيت الشعر، كل واحد منهما يسمى غصناً، ثم يتبعه مجموعة من الأسطر الشعرية متتابعة وراء بعضها، وكل سطر منها يسمى سمطاً، ثم يتبع هذه الأسطر سطران إلى جانب بعضهما يسميان معاً قفلاً، ومجموعة الأسماط تسمى دوراً، والدور مع القفل الذي يليه يسمى بيتاً.

وآخر قفل في الموشح يسمى خرجة، وكانوا يجعلون الخرجة باللغة العامية أو بلغة غير عربية إلا إذا كانت الموشحة في موضوع المدح، فيشترط في الخرجة أن تكون بلغة عربية فصيحة.

رسم توضيحي لأجزاء الموشحة

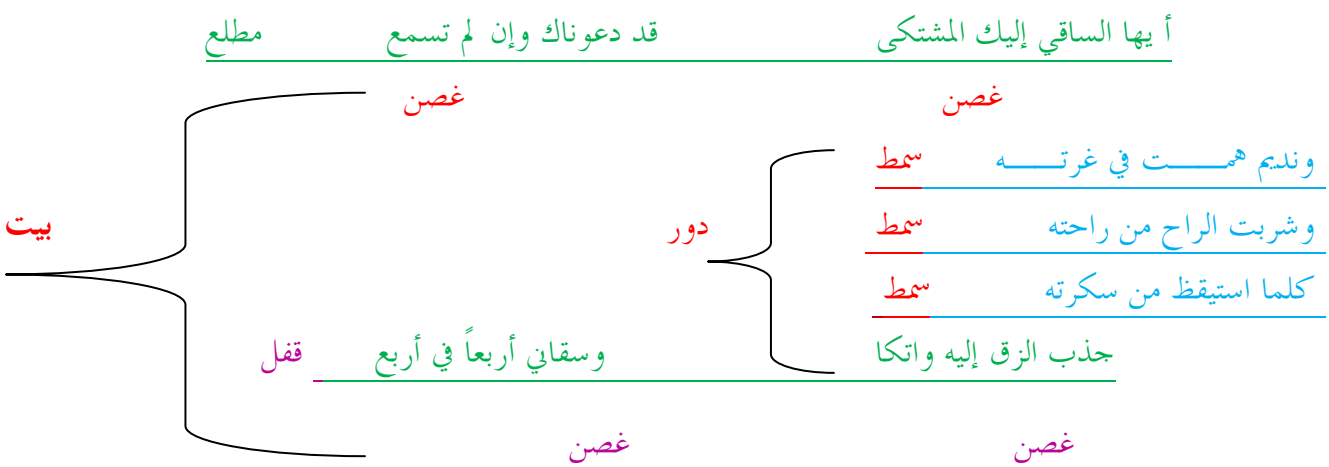

غصن بان مال من حيث استوى

بات من يهواه من فرط الجوى

خفق الأحشاء موهون القوى

كلما فكر في البين بكى ويحه يبكي لما لم يقع

كبد حرى ودمع يكف

يعرف الذنب ولا يعترف

أيها المعرض عما أصف

قد نمى حبك عندي وزكا لا تقل في الحب إني مدعي خرجة

غصن غصن

الشرح

يبدأ الوشاح في مطلع الموشح بنداء ساقي الخمر ليبثه شكواه، لكنّ الساقي في شغل من أمره، فهو لا يستمع إليه. ثم يبدأ أسماط الدور بالغزل في نديمه المحبوب الذي هام في جمال غرته، ثم يبين أنه يشرب الخمر من كف هذا النديم، الذي يساهره طوال الليل حتى يأخذ به النعاس فيغفو، وكلما استيقظ من الغفوة تناول زق الخمر وسقا الوشاح أربع كؤوس في أربعة أوقات أو ربما بأصابعه الأربعة.

– وفي البيت الثاني يصف هذا الغلام بصفات أنثوية فهو رشيق القوام كغصن البان لا يقوى على عشقه أحد، فكل من يهواه تخور قواه وتضعف، وهو دائم التخوّف من الفراق، فيبكي له قبل أن يحدث.

– وفي البيت الثالث يصف الوشاح حاله التي وصل إليها من الحزن والوجد والعشق الذي ينكره الناس ويلومونه عليه، فهم ينكرون هذا العشق ولا يشعرون به.

– وفي البيت الرابع يصل الشاعر إلى منتهى الحزن حيث تضعف عيناه من شدة البكاء وما عادتا تبصران ضوء القمر على وضوحه ولكنه وحيد لا يجد من يبكي معه فيبكي بعضه على بعضه.

– وفي البيت الأخير يتوجه إلى محبوبه بعد أن فشل في إيصال شكواه إلى الساقي– ليبثه شكواه وحزنه، فكبده تلتهب حزناً وعشقاً ودموعه لا تنقطع، ثم ينهي موشحه بالإقرار بحبه لهذا الغلام وأنه يزداد يوماً بعد يوم.

البلاغة والأسلوب :

أولاً : لقد كان الوشّاح بارعاً في استهلال الموشح حيث بدأ بالنداء بما فيه من دلالات التنبيه، ثم وجه النداء إلى مركز المجلس ومحوره وهو الساقي.

ثانياً : استعمل الوشاح ألفاظاً غاية في الرقة والحزن تعبر عن موضوع الغزل وما يرافقه من لوعة مثل الكمد والجوى وغصن بان وفرط الجوى...إلخ.

ثالثاً : اتكأ الشاعر على أسلوب المخالفة في الخطاب فمرة يتحدث بضمير المخاطب للساقي ومرة بضمير الغائب عن النديم ومرة يتوجه بالخطاب مباشرة إلى النديم، فكأنه أراد القول إن النديم غائب حاضر في خياله.

رابعاً : اتكأ الوشاح على المحسنات البديعية في إظهار المعنى، فهو يستعمل الجناس بين الراح(الخمر) والراحة(باطن الكف) والجناس بين الجوى والقوى، والجناس بين يعرف ويعترف، كما استعمل الطباق بين (مال) و(استوى) فلك أن تتخيل الجمال في"مال من حيث استوى" فالشيء إذا استوى لا يميل، لكنه تعبير جميل يدلل على رشاقة الجسم وتثنيه من غير عوج أو علة أو عيب. وكذلك الطباق بين (استيقظ) و(غفوته) كما استعمل الترادف بين (صبر) و(جلد) وفي ذلك تأكيد لمعنى الصبر.

خامساً : لجأ الوشاح إلى المفارقات لتعميق المعنى، فالمفارقة الأولى بين همه هو وانشغاله بموضوعه وبين عدم اكتراث الساقي بالموضوع، والمفارقة الثانية بين حاله من الحزن والعشق وحال قومه المنكرين العاذلين له.

سادساً : جمال التصوير، فقد برع الوشاح في رسم صور جميلة للنديم وهو يغفو تارة ثم يصحو فيشرب ويُسقي، وصورة جميلة لبكائه على نفسه"وبكى بعضي على بعضي معي"

سابعاً : جمال اختتام الموشح وتناسق ذلك مع بدايته، حيث توجه في أول الموشح للساقي يشكوه همه فلما لم يستمع إليه عدل عنه في آخر الموشح وتوجه لمحبوبه، فمن يسمع شكوى الحي غير حبيبه؟!

تدريب

اقرأ النص التالي ثم أجب عما يليه:

ما لعيني عشيت بالنظرِ
أنكرت بعدك ضوء القمرِ
وإذا ما شئت فاسمع خبري
شقيت عيناي من طول البكا وبكى بعضي على بعضي معي

١. معنى (عشيت):

أ. شبعت.

ب. عميت.

ج. ضعف بصرها.

د. نزول الدمع.

٢. يسمى السطر الأول في النص السابق:

أ. بيتاً.

ب. غصناً.

ج. دوراً.

د. سمطاً.

٣. الكاف في (بعدك) في السطر الثاني تعود على:

أ. النديم.

ب. المحبوبة.

ج. الساقي.

د. ابن الشاعر.

المحاضرة العاشرة

المقامة الموصلية لبديع الزمان الهمذاني

مقدمة :

شهد العصر العباسي ازدهاراً ملموساً في جميع المجالات، فقد نضجت فيه الثقافة العربية بعد اختلاطها مع الثقافات الأخرى وانصهارها جميعاً في بوتقة الثقافة الإسلامية الواحدة، فكان الإبداع في كل المجالات تقريباً، ومن المجالات الأدبية التي أبدع فيها أدباؤه **فن المقامات** ورائده **بديع الزمان الهمذاني** الذي طوره عن القوالب القصصية.

والنص المختار "المقامة الموصلية" من المقامات الجميلة والممتعة التي تظهر براعة الهمذاني وترصد لنا بعض الظواهر الاجتماعية، فهي بمثابة وثيقة تاريخية واجتماعية مهمة للعصر العباسي.

تعريف المقامة :

المَقامات : فن قصصي في الأدب العربي أنشأه بديع الزمان الهمذاني في القرن الرابع الهجري. والمقامة لغةً تعني المجلس، ثم تطوّرت دلالتها لاحقًا فأصبحت تعني الحديث الذي يُلقى على الناس،إما بغرض النصح والإرشاد وإمّا بغرض الثقافة العامة أو التّسوّل.ثم اكتسبت أخيرًا دلالتها الاصطلاحية المعروفة.

والمقامة الفنية أو البديعية ، كما أجمع النقاد على تعريفها، أقرب ما تكون لقصة قصيرة مسجوعة بطلها نموذج إنساني مُكد ومتسوّل.وللمقامة راوٍ وبطل، وهي تقوم على حدث طريف، مغزاه مفارقة أدبية أو مسألة دينية

أو مغامرة مضحكة تحمل في داخلها لونًا من ألوان النقد أو الثورة أو السخرية، وضعت في إطار من الصنعة اللفظية والبلاغية.

وتسعى المقامات إلى حشد المفردات اللغوية الغريبة في ثناياها، ذلك لأن من أهدافها تعليم اللغة للناشئة بأسلوب قصصي ممتع، لأن الفصاحة في هذا العصر بدأ يخبو وهجها، ومال الناس إلى ما سهل من الألفاظ بدلالات جديدة، ولا ننسى أثر الأمم الأخرى التي دخلت في الإسلام على اللغة العربية وشيوع اللحن، فكان لا بد من إعادة نشر هذه الألفاظ الغريبة ولكن بأسلوب جميل فكانت المقامات.

بديع الزمان الهمذاني :

هو أحمد بن الحسين بن يحيى الهمذاني أبو الفضل.أحد أئمة الكتاب، أخذ الحريري أسلوب مقاماته،وكان شاعراً وطبقته في الشعر دون طبقته في النثر.كان قوي الحافظة يضرب المثل بحفظه،ويذكر أن أكثر مقاماته ارتجال، وأنه كان ربما يكتب الكتاب مبتدئاً بآخر سطوره ثم هلم جراً إلى السطر الأول فيخرجه ولا عيب فيه.صاحب الرسائل الرائقة، والمقامات الفائقة،كان متعصباً لأهل الحديث والسنة.

قال عنه الثعالبي:"بديع الزمان، لم نر نظيره في الذكاء وسرعة الخاطر، وشرف الطبع، وصفاء الذهن، وقوة النفس، و لم يُدرَك نظيره في ظرف النثر، وينظر في الأربعة والخمسة الأوراق من كتاب لم يعرفه ولا رآه نظرة واحدة خفيفة ثم يهذها عن ظهر قلبه "

ظلت مقامات بديع الزمان الهمذاني الاثنتان والخمسون أنموذجًا يحتذيه كتّاب المقامات الذين جاءوا من بعده. وأول هؤلاء وأشهرهم الحريري ثم تبعه عدد كبير من الكتّاب القدامى والمُحدثين فكتبوا في هذا الفن، ومن أبرزهم الزمخشري وجلال الدين السيوطي من المشارقة، والسرقسطي من الأندلسيين. وأما المحدثون فأهمهم اليازجي والمويلحي.

المَقامَةُ المُوْصِلِيةُ

حدَّثَنا عيسَى بْنُ هِشَامٍ قالَ :

لَمَّا قَفِلْنَا مِنَ المُوصِلِ، وَهَمَمْنَا بِالْمَنْزِلِ، وَمُلِكَتْ عَلَيْنَا القَافِلَةُ، وَأَخَذَ مِنَّا الرَّحْلُ والرَّاحِلَةُ، جَرَتْ بِي الحُشَاشَةُ إِلَى بَعْضِ قُرَاهَا، وَمَعِي الإِسكندريّ أَبُو الفَتْحِ، فَقُلْتُ : أَيْنَ نَحْنُ مِنَ الحِيلَةِ ؟ فَقَالَ : يَكْفِي اللهُ، وَدُفِعْنَا إِلَى دَارٍ قَدْ مَاتَ صَاحِبُهَا، وَقَامَتْ نَوادِبُهَا واحْتَفَلتْ بِقَوْمٍ قَدْ كَوَى الجَزعُ قلوبَهُمْ، وَشَقَّتِ الفَجِيعَةُ جُيُوبَهُمْ، ونِسَاءٍ قد نَشَرْنَ شعُورَهُنَّ،يَضْرِبْنَ صُدُورَهُنَّ، وَجَدَدْنَ عقُودَهُنَّ يَلْطِمْنَ خدُودَهُنَّ، فَقَالَ الإِسْكَنْدَرِيُّ : لَنَا فِي هَذا السَّوادِ نَخْلَةٌ، وَفِي هذا القَطِيعِ سَخْلَةٌ . وَدَخَلَ الدَّارَ لِيَنْظُرَ إِلى المَيِّتِ وَقَدْ شُدَّتْ عِصَابَتُهُ لِيُنْقَلَ،وَسُخِّنَ ماؤُهُ لِيُغْسَلَ،وهُيِّئَ تَابُوتُهُ لِيُحْمَلَ،وَخِيطَتْ أَثْوَابُهُ لِيُكَفَّنَ، وَحُفِرَتْ حُفْرَتُهُ لِيُدْفَنَ فَلَمَّا رَآهُ الإِسْكَنْدَرِيُّ أَخَذَ حَلْقَهُ،فَجَسَّ عِرْقَهُ،فَقَالَ: يَا قَوْمُ اتَّقُوا اللهَ لا تَدْفِنُوهُ فَهُوَ حَيٌّ،وإِنَّمَا عَرَتْهُ بَهْتَةٌ،وَعَلتهُ سَكتَةٌ، وَأَنَا أُسَلِّمُهُ مَفْتُوحَ العَيْنَيْنِ، بَعْدَ يَوْمَيْنِ،فَقَالُوا: مِنْ أَيْنَ لَكَ ذَلِكْ ؟ فَقَالَ:إِنَّ الرَّجُلَ إِذا ماتَ بَرَدَ إبطه،وَهذَا الرَّجُلُ قَدْ لَمَسْتُهُ فعَلِمْتُ أَنَّهُ حَيٌّ، فَجَعَلوا أَيْدِيَهُمْ فِي إبطه، فَقَالوا: الأَمْرُ على مَا ذَكَرَ، فَافْعَلُوا كَمَا أَمَرَ، وَقَامَ الإِسْكَنْدَرِيُّ إِلى المَيِّتِ فَنَزَعَ ثِيابَهُ ثُمَّ شَدَّ لهُ العَمَائِمَ،وَعَلَّقَ عَلَيْهِ التَمائِمَ وَأَلعَقَهُ الزَّيْتَ،وَأَحْلَى لَهُ البَيْتَ

وَقَالَ:دَعُوهُ وَلا تُرَوِّعُوهُ،وَإِنْ سَمِعْتُمْ لَهُ أَنيناً فَلاَ تُجيبُوهُ،وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ وَقَدْ شَاعَ الخَبَرُ وانْتَشَرَ،بِأَنَّ المَيِّتَ قَدْ نُشِرَ،وَأَخَذَتْنَا المَبارُّ مِنْ كُلِّ دَارٍ، وَانْثَالَتْ عَلَيْنا الهَدَايا مِنْ كُلِّ جَارٍ،حَتَّى وَرِمَ كِيسُنَا فِضَّةً وَتِبْراً، وامْتَلأَ رَحْلُنَا أَقِطاً وَتَمْراً،وَجَهَدْنا أَنْ نَنْتَهِزَ فُرْصَةً فِي الهَرَبِ فَلَمْ نَجِدْهَا،حَتَّى حَلَّ الأَجَلُ المَضْرُوبُ، واسْتُنْجِزَ الوَعْدُ المَكْذُوبُ، فَقَالَ الإِسْكَنْدَرِيُّ:هَلْ سَمِعْتُمْ لِهَذَا العَلِيلِ رِكْزاً، أَوْ رَأَيْتُمْ مِنْهُ رَمْزاً ؟ فَقَالوا:لا، فَقالَ:إِنْ لَمْ يَكُنْ صَوَّتَ مُذْ فَارَقْتُهُ، فَلَمْ يَحن بَعْدُ وَقْتُهُ، دَعُوهُ إِلَى غَدٍ فَإِنَّكُمْ إِذا سَمِعْتُمْ صَوْتَهُ، أَمِنْتُمْ مَوْتَهُ، ثُمَّ عَرِّفُونِي لأَحْتَالَ فِي عِلاجِهِ، وإِصْلاحِ ما فَسَدَ مِنْ مِزاجِهِ

فَقَالوا : لا تُؤَخِّرْ ذَلِكَ عَنْ غَدٍ، قَالَ : لا، فَلَمَّا ابْتَسَمَ ثَغْرُ الصُّبْحِ وانْتَشَر جَناحُ الضَّوِّ، فِي أُفُقِ الجَوِّ، جاءَهُ الرِّجَالُ أَفْوَاجاً، والنِّساءُ أَزْوَاجاً، وَقَالوا : نُحِبُّ أَنْ تَشْفِيَ العَلِيلَ، وَتَدَعَ القَالَ والقِيلَ، فَقَالَ الإِسْكَنْدَرِيُّ : قُومُوا بنا إِلَيْهِ، ثُمَّ حَدَرَ التَّمَائِمَ عَنْ يَدِهِ، وَحَلَّ العَمائِمَ عنْ جَسَدِهِ، وَقَالَ : أَنِيمُوهُ على وَجْهِهِ، فَأُنِيمَ، ثُمَّ قَالَ : أَقِيمُوهُ على رِجْلَيْهِ، فَأُقِيمَ، ثُمَّ قَالَ : خَلُّوا عَنْ يَدَيْهِ، فَسَقَطَ رأْسًا وَطَنَّ الإِسْكَنْدَرِيُّ بِفِيهِ وَقَالَ : هُوَ مَيِّتٌ كَيْفَ أُحْيِيهِ ؟ فَأَخَذَهُ الخُفُّ، وَمَلَكَتْهُ الأَكُفُّ، وَصَارَ إِذَا رُفِعَتْ عَنْهُ يَدٌ وَقَعَتْ عَلَيْهِ أُخْرَى ثُمَّ تَشَاغَلوا بِتَجْهِيزِ المَيِّتِ، فانْسَلَلْنَا هَارِبِينَ .....

اللغة ومعاني الكلمات

قفلنا	رجعنا	هممننا بالمنزل	أردنا النزول في هذا المكان	مُلكتْ	أُخذت منا غصبا
الرحل	مَرْكَبٌ للبعير والناقة	الراحلة	ما يركب عليها من الدواب	جرت	سارت
الحشاشة	رُوح القلب ورَمَقُ حياة النفْس	نوادبها	جمع نادبة وهي المرأة التي تبكي الميت	جزع	الجزع: نقيض الصبر
الفجيعة	المصيبة	جيوبهم	جمع جيب وهو صدر القميص	جددن	قطعن

السواد	عامة الناس	جسّ	الجَسُّ اللَّمْسُ باليد	عرقه	الوريد

عرته	ألّمت به	بهته	بَهَتَه بَهْتاً أخذه بَغْتَةً		
تمائم	واحدتُها تَمِيمةٌ وهي خَرزات كان الأعرابُ يعلِّقونها على أَولادِهم يعدون بها النفْس والعَين				
ألعقه	لَعِقَ الشيءَ يَلْعَقُه لعْقاً لحسه	تُرَوِّعُوهُ	تفزعوه	نُشر	عاش بعد الموت
المَبارّ	الصدقات	انثالت	انصبت واجتمعت	ورم	انتفخ
تبراً	التبر الذهب	أقطاً	اللبن الجاف	الأجل المضروب	الوقت المحدد
استنجز	نَجَزَ الوعْدُ يَنْجُزُ نَجْزاً حَضَر	رِكزاً	الصوتُ الخفيُّ		

الأفكار الرئيسية:

١. رجوع الراوي وهو عيسى بن هشام والبطل أبو الفتح الإسكندري من الموصل إحدى مدن العراق خاويَيْ الأيدي بعد أن سرقت أمتعتهما، فواصلا السير إلى إحدى قراها.

٢. استغلال الفرص بالحيلة والدهاء عندما وجدوا سيد البلدة قد مات لتوه فقلبوا الأمور بأن الرجل حي وساعدهم سذاجة القوم على الاحتيال.

٣. تقمص البطل والراوي شخصية طبيبين ووعدوا القوم بأن يسلموا السيد الميت حياً بعد يومين.

٤. تقديم الهدايا الكبيرة والكثيرة من البلدة للطبيبين المزيفين.

٥. انكشاف أمرهما ومعاقبتهما بالأيدي والأرجل وهروبهما من القرية.

البلاغة والأسلوب :

١. تمتاز المقامات بوجه عام بكثرة المحسنات البديعية، وهذا ما نلحظه في المقامة الموصلية، فانظر إلى السجع في : (لما قفلنا من الموصل وهممنا بالمنزل) و(حَلَّ الأَجَلُ المَضْرُوبُ، واسْتُنْجِزَ الوَعْدُ المَكْذُوبُ) والجناس بين (الرحل والراحلة) و(نخلة وسخلة) و(بهتة وسكته) والطباق مثل: رُفِعَتْ عَنْهُ يَدٌ وَقَعَتْ عَلَيْهِ أُخْرَى. ونزع وعلّق وإِصْلاحِ وفَسَدَ.

٢. كثرة التشبيهات والاستعارات والكنايات في المقامة مثل:

- لنَا فِي هَذا السَّوادِ نَخْلَةٌ كناية عن الغنيمة
- كَوَى الجَزعُ قلوبَهُمْ . استعارة مكنية، شبه الجزع بالنار.
- وَشَقَّتِ الفَجيعَةُ جُيُوبَهُمْ. مجاز عقلي ، أسند الفعل إلى الفجيعة.

ابْتَسَمَ ثَغْرُ الصُّبْحِ وانْتَشَرَ جَناحُ الضَّوِّ في أفق الجّو.

في كلمة ابتسم استعارة تصريحية حيث استعار الابتسامة من الإنسان وأعطاها للصبح.

في كلمة(الصبح) استعارة مكنية حيث شبه البح بالإنسان الذي له ثغر.

وفي كلمة (جناح) استعارة مكنية حيث استعارالجناح من الطيور وأطلقه على الضّوّ.

٣. وجود الحوار بين الرجلين وأهل البلدة وهذا أعطى مزيدا من التشويق.

٤. استخدام جمل قصيرة وهذه سمة عامة في المقامات، مما يجعلها سهلة الفهم.

٥. الاستفادة من الموروث الديني والاجتماعي وربما الشعبي من تعليق التمائم وشق الصدر ونشر الشعر وتمزيق العقود كطقوس للحزن على الميت.

٦.استخدم الفعل المبني للمجهول وهو جلي وواضح في المقامة مثل:

شُدَّتْ، سُخِّنَ، وهُيِّئَ، خِيطَتْ، يُنْقَلَ، يُكَفَّنَ ؛ وربما كان ذلك لأن التركيز على موت الرجل والحالة التي كان عليها بغض النظر عمن فعل ذلك.

٦. راوح الكاتب بين الجمل الخبرية والإنشائية وإن طغت الجمل الخبرية على الإنشائية وهذا يمنح الكاتب قدراً كبيراً من حرية الوصف في سرد أحداث القصة.

٧. الدقة في الوصف، وهو كثير في المقامة منه على سبيل المثال لا الحصر (ونِسَاءٍ قد نَشَرْنَ شعُورَهُنَّ، يَضْرِبْنَ صُدُورَهُنَّ ، وَجَدَدْنَ عقُودَهُنَّ ، يَلْطِمْنَ خدُودَهُنَّ)

فهذه العبارات جميعها تشير إلى دقته في وصف حالة النساء فهو يصفها وصف المشاهد الحقيقي، مما ينقلك لمشاركته الرؤية لهذه الأحداث.

٨. تمتاز المقامات بشكل عام بغرابة الألفاظ وهذا واضح في المقامة الموصلية، مثل: وَمُلِكَتْ، الحُشَاشَةُ، المَبارُّ، انْثَالَتْ، أقطا، ركزاً.

أعزائي الطلبة: فكروا معي في قول الكاتب:

جاءَهُ الرِّجَالُ أَفْوَاجاً، والنِّساءُ أَزْوَاجاً.

لَمَ جعل الرجال أفواجاً والنساء أزواجاً.

تدريب

تعالج المقامات عادة اجتماعية شاعت في العصر العباسي، هي:

أ. الخدعة. **ب. الكدية** ج. الكذب. د. النفاق.

اقرأ النص التالي ثم أجب عما يليه:

وَدُفِعْنَا إِلَى دَارٍ قَدْ مَاتَ صَاحِبُها ، وَقَامَتْ نَوادِبُهَا ، واحْتَفَلتْ بِقَوْمٍ قَدْ كَوَى الجَزعُ قلوبَهُمْ ، وَشَقَّتِ الفَجِيعَةُ جُيُوبَهُمْ، ونِسَاءٍ قد نَشَرْنَ شعُورَهُنَّ ، يَضْرِبْنَ صُدُورَهُنَّ ، وَجَدَدْنَ عقُودَهُنَّ ، يَلْطِمْنَ خدُودَهُنَّ.

٢. في الجمل التي فوق الخط:

أ.تورية. ب. طباق. ج. ترصيع. **د. سجع.**

٣. كلمة (جددن) في النص السابق تعني:

أ.قطعن ب. تم شراء عقود جديدة ج. عكس الهزل. د. نظمن العقود.

كلمة (احتفلت) في النص السابق تعني:

أ. ابتهجت. ب. كان فيها احتفال. **ج. امتلأت.** د. اهدمت.

المحاضرة الحادية عشرة

قصيدة الوأواء الدمشقي

مقدمة :

تعرفنا في المحاضرة السابقة إلى نص نثري من العصر العباسي تمثل في المقامة الموصلية ونصنا الحالي سيكون شعراً غزلياً رقيقاً من العصر نفسه.

نصنا الشعري للوأواء الدمشقي، وربما يكون قوله:

فأمطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت ورداً وعضت على العناب بالبرد في هذه القصيدة أشهر من الشاعر الدمشقي نفسه، فلا يكاد يخلو كتاب في البلاغة إلا ذكره، لجمعه خمس استعارات في بيت واحد. والنص بحق من أعذب النصوص الغزلية لما يحتويه من تشبيهات وأوصاف، ولا بد من الإشارة إلى أن هذا النص قد نسب إلى يزيد بن معاوية أيضاً.

ولا بد من التعرف إلى المصطلحات الدالة على الغزل من باب الفائدة ومنها:الغزل، والنسيب، والتشبيب.

الغزل: هو مديح المرأة الذي يتصل بذكر صفاتها الخلقية ومحاسنها الجسمانية، لأن المرأة لا تمدح بما يمدح به الرجل.

النسيب: أن ينسب الشاعر لامرأة بعينها أحبها، أو عرض لها.

التشبيب: النسيب بالنساء، وشبب بالمرأة: قال فيها الغزل والنسيب.

ومن أنواع الغزل :

- **الغزل التقليدي.**
- **الغزل الصريح.**
- **الغزل العذري.**

الشاعر

الوأواء الدمشقي:

محمد بن أحمد وقيل محمد بن محمد أبو الفرج الوأواء الغساني الدمشقي.شاعر مطبوع منسجم الألفاظ عذب العبارة حسن الاستعارة جيد التشبيه.

حلو الألفاظ، في معانيه رقة، كان مبدأ أمره منادياً بدار البطيخ في دمشق.

وله ديوان شعر مطبوع، وتوفي الوأواء في ٣٨٥ للهجرة.

النص:

١. نَالَتْ عَلَى يَدِهَا مَا لَمْ تَنَلْهُ يَدِي نَقْشاً عَلَى مِعْصَمٍ أَوْهَتْ بِهِ جَلَدِي
٢. كَأَنهُ طَرْقُ نَمْلٍ فِي أَنَامِلِـــــــهَا أَوْ رَوْضَةٌ رَصَّعَتْهَا السُّحْبُ بالبَرَدِ
٣. وَقَوْسُ حَاجِبِهَا مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ وَنَبْلُ مُقْلَتِـــــهَا تَرْمِي بِهِ كَبِـــــــدِي

٤. وَخَصْرُهَا نَاحِلٌ مِثْلِي عَلَى كَفَلٍ مُرَجْرَجٍ قَدْ حَكَى الأَحْزَانَ فِي الخَلَدِ
٥. سَأَلْتُهَا الوَصْلَ قَالَتْ لا تُغَرَّ بِنَا مَنْ رَامَ منَّا وِصَالاً مَاتَ بالكَمَدِ
٦. فَكَمْ قَتِيلٍ لَنَا بالحُبِّ مَاتَ جَوًى من الغَرَامِ وَلَمْ يُبْدِ وَلَمْ يُعِدِ
٧. فَقُلْتُ : أَسْتَغْفِرِ الرَّحْمنَ مِنْ زَلَلٍ إِنَ المُحِبَّ قَلِيلُ الصَّبْرِوَالجَلَدِ
٨. قَالَتْ وَقَدْ فَتَكَتْ فِينَا لَوَاحِظُهَا مَا إِنْ أَرَى لِقَتِيلِ الحُبِّ مِنْ قَوَدِ
٩. قَدْ خَلَّفَتْنِي طَرِيحاً وَهي قَائِلَه تَأَمَّلُوا كَيْفَ فِعْلُ الظَبْيِ بالأَسَدِ
١٠. قَالَتْ لِطَيْفِ خَيَالٍ زَارَنِي وَمَضَى بِاللهِ صِفْهُ وَلاَ تَنْقُصْ وَلاَ تَزِدِ
١١. فَقَالَ:خَلَّفْتِهُ لَوْ مَاتَ مِنْ ظَمَأٍ وَقُلْتِ: قِفْ عَنْ وَرُودِ المَاءِ لَمْ يَرِدِ
١٢. قالت:صدقت، الوفى في الحب شيمته يابرد ذاك الذي قالت على كبدي
١٣. وَاسْتَرْجَعَتْ سَأَلَتْ عَنِّي فَقِيْلَ لَهَا مَا فِيهِ مِنْ رَمَقٍ ، دَقَّتْ يَدًّا بِيَدِ
١٤. وَأَمْطَرَتْ لُؤْلُؤاً من نَرْجسٍ وَسَقَتْ وَرْداً وَعَضَّتْ عَلَى العُنَّابِ بالبَرَدِ
١٥. وَأَنْشَدَتْ بِلِسَانِ الحَالِ قَائِلَةً مِنْ غَيْرِ كَرْهٍ وَلاَ مَطْلٍ وَلاَ مَدَدِ
١٦. وَاللّهِ مَا حَزِنَتْ أُخْتٌ لِفَقْدِ أَخٍ حُزْنِي عَلَيْهِ وَلاَ أُمٍّ عَلَى وَلَدِ
١٧. هُمْ يَحْسِدُونِي عَلَى مَوْتِي فَوَا أَسَفي حَتَّى عَلَى المَوتِ لاَ أَخْلُو مِنَ الحَسَدِ

معاني المفردات :

جلدي	صبري		أناملها	أطراف أصابعها
النُّبل	السهام وقيل السِّهامُ العربية وهي مؤنثة لا واحد له من لفظه فلا يقال نَبْلة وإنما يقال سهم ونشَّابة			
الكفَل	الكَفَل بالتحريك العجُز وقيل رِدْفُ العجُز وقيل القَطَن يكون للإنسان والدابة			
مرجرج	امرأَة رَجْراجَةُ مُرْتَجَّةُ الكَفَلِ يَتَرَجْرَجُ كفلها ولحمها وتَرَجْرَجَ الشيءُ إِذا جاء وذهب			
الكمد	شدة الحزن	**قود**	القود: القِصاصُ وأَقَدْتُ القاتِلَ بالقتيل أَي قَتَلْتُه به	
الرمَق	بقية الحياة			

معاني الأبيات :

١ و٢. يصف الشاعر امرأة جميلة رآها وكانت جميلة جداً، وفي البيت الأول يصف نقشاً على معصم يدها، أضفى عليها جمالاً جعلني غير قادر على تمالك نفسي وأضعفني. فكأن هذا النقش طرق النمل في أصابعها، أو كأنه روضة مزركشة بكل أنواع الأزاهير.

٣. يصف عين المحبوبة فحاجبها كأنه القوس ونظراتها سهام تنطلق منه لتصيب به كبدي.

٤. خصرها نحيل رقيق كجسدي النحيل هذا الخصر فوق عجز مكتنز باللحم يترجرج ويضطرب كما تضطرب الأحزان في داخلي.

٥و٦. طلبتُ منها الوصال والعشق فقالت: لا يغرنك ما تراه من رقة، فكل من طلب وصالنا مات بالحزن، فالجميلات يتمنعن على العشاق.

٧. يستدرك الشاعر لما سمع كلامها فيستغفر الله ثم يلتمس لنفسه العذر فالمحب قليل الصبر، وهو دائما مندفع ومتعجل.

٨. فلما رأت ما وصلتُ إليه من حالة الحزن والضعف قالت متندرة إن قتيل الحب لا قصاص له ولا دية.

٩. ثم يصف حالته التي وصل إليها فقد خلفتني مطروحاً لا أقوى على الحركة وهي تقول للناس:انظروا كيف يفعل الظبي على ضعفه بالأسد على قوته.

١٠. يتخيل الشاعر كأن الحبيبة بعد ذلك أرسلت طيف خيالها لترى ما حل بالشاعر وقالت لطيفها أن ينقل لها حالة الشاعر كما هي دون زيادة أو نقصان.

١١.فنقل إليها أنها خلفتْهُ شديد التعلق بها مستسلماً استسلاماً تاماً، لدرجة أنه لو كان شديد العطش وقالت له المحبوبة لا تشرب لتوقف عن الشرب أو عن ورود الماء.

١٢. فقالت صدقت فإنه محب صادق وفيّ، فيسرّ الشاعر بهذه المقولة كأنها الماء البارد على كبده الحرّى.

١٣ و١٤. ثم تعود الحبيبة لتطمئن على شاعرها وتسأل عنه فيخبرونها بأنه قد مات أو أوشك لشدة تعلقه بها، فتظهر الندم وتضرب كفاً بكفٍ، وتبكي بكاء شديداً حتى تبلل خديها، وهي تعض على شفتيها من الندم.

١٥و١٦. ثم تقول قولا صادقاً خالياً من المجاملة أو المماطلة أنه لم تحزن أخت لفقد أخيها أو أم لفقد ولدها كما حزنت هي على هذا الشاعر العاشق.

١٧. يختم الشاعر قصيدته بأن الناس حسدوه على موته عشقاً، فهو لم يسلم من الحسد حتى على الموت.

البلاغة والأسلوب :

أولاً : هذا نص غزلي رقيق جاءت ألفاظه ومعانيه مناسبة له، فالألفاظ غاية في الرقة تصور ما في الحب من لوعة وحرمان وفراق (الكمد الجوى، طيف الخيال، الحب، الوفى...) والمعاني رقيقة تعبر عن الحزن الشديد (ترمي به كبدي، حصرها ناحل فتكت فينا لواحظها).

ثانياً : يعج النص بالتشبيهات والاستعارات التي تقرب الصورة من المتلقي، ولعلّ أشهر بيت في هذا المجال، قول الشاعر:

وَأَمْطَرَتْ لُؤلُؤاً منْ نَرْجِسٍ وَسَقَتْ وَرْداً وَعَضَّتْ عَلَى العُنَّابِ بِالبَرَدِ

فالدموع لؤلؤٌ والعيون نرجسٌ والخدود وردٌ والشفاه عنابٌ والأسنان حبّ البرد، حتى قال العلماء في هذا البيت شبه الشاعر خمساً بخمس.

وفي كل لفظ من هذه الألفاظ (لؤلؤ، نرجس، ورد، العناب، البرد) استعارة تصريحية حيث حذف المشبه وصرح بالمشبّه به.

وإذا تركنا هذا البيت إلى غيره وجدنا في البيت الثاني تشبيهاً رائعاً، إذ شبه النقش في يدها بما فيه من الخطوط الدقيقة المتعرجة المزركشة بطرق النمل في الأرض كما شبهه بروضة حظيت بالمطر فأخرجت أزاهيرها وورودها من كل شكل ولون.

وفي البيت الثالث : يشبه حاجبها بالقوس ونظراتها بالسهام وهذان تشبيهان مكروران في الأدب العربي.فهما تشبيهان تقليديان.

وفي البيت الرابع : تشبيهان طريفان، فقد شبه الشاعر خصرها بنفسه في النحول، وشبه حركة عجزها واضطرابه باضطراب الأحزان في الصدر. وفي البيت التاسع تشبيه تقليدي أيضاً حيث شبه المحبوب بالظبي والشاعر بالأسد، لكن الصورة كاملة والمعنى العام جاء طريفاً.

ثالثاً : في القصيدة بعض المحسنات البديعية التي أضفت جمالاً على النص وذلك كالجناس بين (نمل وأناملها) في البيت الثاني، والطباق بين (نالت و لم تنل، ويبدي ويعيد، والظبي والأسد-طباق معنى-وتنقص وتزيد).

رابعاً : قام النص في معظمه على مفارقات جعلت المتلقي يستمتع بالجمال ويحس بإحساس الشاعر، فهناك مفارقة بين تلهفه للوصل وتمنعها عنه، والمفارقة في قتل الظبي وهو ضعيف للأسد وهو قويّ، والمفارقة في أن إنساناً شديد الظمأ والماء أمامه لكنه يمتنع بإرادته عن ورود الماء، والمفارقة في حسد الناس له على الموت فالمرء يحسد على شيء محبوب، بل إن القصيدة تقوم على المفارقة بين أولها وآخرها، فالحبيبة في أول القصيدة متمنّعة قاسية متجلدة وفي آخرها ضعيفة حزينة باكية.

خامساً : قوله في البيت الثالث عشر: دقت يداً بيد كناية عن الندم، وكذلك قوله في البيت الرابع عشر:وعضت على العناب بالبرد كناية عن الندم لأن الإنسان يعض على شفتيه عندما يند ويتحسّر.

تدريب

نَالَتْ عَلَى يَدِهَا مَا لَمْ تَنَلْهُ يَدِي نَقْشاً عَلَى مِعْصَمٍ أَوْهَتْ بِهِ جَلَدِي
كَأَنهُ طَرْقُ نَمْلٍ فِي أَنَامِلِـــــهَا أَوْ رَوْضَةٌ رَصَّعَتْهَا السُّحْبُ بالبَرَدِ

١. الهاء في(كأنه) في البيت الثاني تعود على:

أ. النقش. ب. المعصم.

ج. الجلد. د. الشاعر.

٢. في قول الشاعر(نالت، ولم تنل) في البيت الأول:

أ. جناس. ب. تشبيه.

ج. مجاز. **د. طباق.**

٣. يبدو الشاعر في البيت الأول:

أ. متجلداً صابراً. **ب. ضعيفاً خائراً.**

ج.متكبراً متعالياً. د. مفتخراً بنفسه.

المحاضرة الثانية عشرة

ابن القيسراني يمدح نور الدين زنكي

مقدمة :

اخترت لكم من عصر الدول المتتابعة (العصر الزنكي، ثم الأيوبي، ثم المملوكي) قصيدة ابن القيسراني وهي بنت العصر الزنكي والذي حكم فيه بطلان هما :عماد الدين زنكي وابنه نور الدين زنكي اللذان قادا الأمة إلى الصلاح والخير، وتجدر الاشارة إلى أن عماد الدين صنع منبرا لا مسمار فيه من شجر الأرز ليضعه في المسجد الأقصى بعد تحريره من الصلبين، ولكن المنية وافته وكذلك ابنه نور الدين الذي مات قبل أن يتمكن من نقل المنبر، فحُمل المنبر في عهد صلاح الدين الأيوبي بعد تحريره بيت المقدس، وقصيدة ابن القيسراني في مدح نور الدين كانت شاحنة للهمم التي انهزمت أمام قوى المغول والتتار والصليبين مما فتّ في عضد الدولة الإسلامية.

وقد كان حكام هذا العصر كما هو معروف ليسوا عربا وإن كانوا مسلمين، فلم تحظ اللغة والأدب بالاهتمام والدعم والتشجيع كما إن الأمة كانت تعيش حالة من الذل والانهزام والخوف والقلق بسبب تلك الحروب المتتابعة، مما أضعف الأدب في هذه العصور، فاتجه الشعراء إلى تقليد سابقيهم ومعارضتهم، كما مال أدبهم إلى الإغراق في الصنعة اللفظية التي طغت على المعنى لذا عد النقاد هذا العصر من أضعف العصور الأدبية، وإن كانت كثير من الموسوعات العلمية قد ظهرت في هذا العصر.

ابن القيسراني :

هوعبد الله بن محمد بن أحمد بن خالد القرشي المخزومي، أبو محمد فتح الدين، شاعر مجيد، له ديوان شعر،أصله من حلب، ومولده بعكة، ووفاته في دمشق.

تولى في دمشق إدارة الساعات على باب الجامع الأموي، ثم تولى في حلب خزانة الكتب.

والقيسراني نسبة إلى (قيسارية) في ساحل سورية، نزل بها فنسب إليها، وانتقل عنها بعد استيلاء الافرنج على بلاد الساحل.

كان ابن القيسرانى وابن منير الطرابلسي شاعري الشام في وقتهما، وشبههما العماد الكاتب، في (الخريدة) بالفرزدق وجرير، وكان مولدهما في سنة واحدة.

الممدوح (نور الدين زنكي) :

أحد القادة الذين حكموا في العصر الزنكي ابن القائد الورع عماد الدين زنكي، استطاع وأبيه بناء قاعدة إسلامية في وجه الأعداء. ترسم نور الدين زنكي خطوات عمر بن عبد العزيز في عهده، فحقق نجاحاً كبيراً للأمة في صراعها مع الصليبيين، كان هذا الإيمان سبباً في التوازن المدهش والخلاّب في شخصيته، فقد كان على فهم صحيح لحقيقة الإسلام وتعبد الله بتعاليمه، وتميزت شخصيته بمجموعة من الصفات الرفيعة والأخلاق الحميدة التي ساعدته على تحقيق انجازاته العظيمة والتي من أهمها؛ الجدية، والذكاء المتوقد والشعور بالمسؤولية، والقدرة على مواجهة المشكلات والأحداث، ونزعته للبناء والإعمار، وقوة الشخصية ومحبته لله ومحبة الناس له. استطاع نور الدين زنكي أن يوحد بلاد الشام كلها تحت قيادته من الرها شمالاً حتى حوران جنوباً فقامت دولة إسلامية موحدة مركزها دمشق. ومن الطريف أن هذه القيادات؛ كانت تتخير أسماءها على نحو يوضح تعلقهم بالدين مثل:عماد الدين، وسيف

الدين ونجم الدين، وصلاح الدين ونور الدين وثمة ملاحظة أخرى، وهي أن تعلق هذا الجيل بالدين جعلهم يحرصون على الجهاد والاستشهاد، فإذا لم يكتب لهم الاستشهاد أوصوا بدفنهم في مدافن المدينة المنورة.

مناسبة القصيدة :

وقعت معركة أنّب في يونيه ١١٤٩م/صفر ٥٤٤هـ وقد حقق الجيش النوري فيها انتصاراً كبيراً وتم قتل ريموند دى بواتيه، وعدد كبير من كبار قادة الصليبيين، وكان نور الدين قد رحل إلى حصن إنب في حلب فحاصره ، فاجتمعت الفرنج لقتاله مع البرنس واقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم الفرنج وقتل البرنس وجماعة كثيرة من أصحابه ، وأسر خلق كثير . وكان قتل البرنس ريموند عظيماً عند الطائفتين وأكثر الشعراء من مدح نور الدين بهذا الظفر ، فكان ممن قال فيه ابن القيسراني الكاتب قصيدته المشهورة، التي هي محل دراستنا في هذه المحاضرة.

نص القصيدة

١.هذي العزائمُ لا ما تدّعي القُضُبُ وذي المكارمُ لا ما قالت الكتبُ

٢.وهذه الهمم اللاتي متى خُطِبـــــتْ تعثّرتْ خلفها الأشعارُ والخطب

٣.صافحتَ يا ابن عماد الدين ذورتها براحةٍ للمساعي دونها تعـــــــب

٤.يا ساهدَ الطرفِ والأجفانُ هاجعةٌ وثابتَ القلبِ والأحشاءُ تضطرب

٥.أغرتَ سيوفَك بالإفرنج راجفةً فؤادُ روميّةَ الكبرى لها يَجِبُ

٦.والخيل من تحت قتلاها تخرُّ لها قوائمُ خانَهنَّ الركضُ والخَبَبُ

٧.والنقعُ فوق صِقال البيض منعقدٌ كما استقلَّ دخان تحته لهب

٨.والنَّبْلُ كالوَبْلِ هطّالٌ وليس لـــه سوى القِسيّ وأيدٍ فوقها سحب

٩.وللظُّبى ظَفَرٌ حلوٌ مذاقتُـــــــــــه كأنما الضَرْبُ فيما بينهم ضَرَبُ

١٠.أنباء ملحمة لو أنها ذُكـــــــــرتْ فيما مضى نسيت أيامها العرب

١١.من كان يغزو بلاد الشرك مكتسبا من الملوك فنور الدين محتسب

١٢.أفعاله كاسمه في كل حادثـــــــة ووجهه نائب عن وصفه اللقب

١٣.في كل يوم لفكري من وقائعـــــه شغل فكل مديحي فيه مقتضب

١٤.من باتت الأُسْدُ أسرى في سلاسله هل يأسر الغُلْب إلا من له الغَلَب؟

١٥. عمّت فتوحُك بالعدى معاقلهـــا كأنّ تسليمَ هذا عند ذا جـــــرب

اللغة والشرح

١.القضب : جمع قضيب وهو السيف أو العود الذي تؤخذ منه السهام. **ومعنى البيت** أن العزيمة الحقيقية هي عزيمة نور الدين وليست عزيمة السيوف والسهام، وهذا الفتح الذي تحقق على يدي الممدوح هو الفتح الحقيقي لا ما يدّعيه المنجمون في كتبهم.

٢. وهذه المعركة كشفت همة الممدوح العالية التي لا تستطيع الأشعار والخطب أن تفيها حقها.

٣.الراحة : باطن الكف. والمعنى أن ابن عماد الدين وصل إلى قمة النصر بكدّه وتعبه.

٤.الساهد : الساهر، **والطرف :** العين. وهنا يوازن الشاعر بين الممدوح وغيره في المعركة، فهو ساهر للتفكير والتخطيط وغيره نائم، وهو شجاع ثابت القلب لكن غيره خائف يرتجف.

٥. رومية : روما. **يجب :** يضطرب. لقد أعملت السيوف في الإفرنج حتى اهتزت روما وخافت من بأسك وشدتك.

٦.الخَبَب: نوع من ركض الخيل. لم تعد خيول العدوّ قادرة على الركض فهي تحمل القتلى مثقلة بهم غير قادرة حتى على الفرار.

٧.النقع : غبار المعركة. **وصقال البيض** : السيوف المصقولة. **والمعنى:** أن غبار المعركة كثيف جداً كالظلام حتى بدت السيوف اللامعة من خلال هذا الغبار كأنها شهب في الظلام.

٨.النبل: السهام. **الوبل:** المطر. **هطال :** شديد النزول.**القسيّ :** جمع قوس. فالسهام تسقط على رؤوس الأعداء كالمطر الغزير والقسيّ وأيدي المحاربين كالسحب الماطرة لهذه السهام.

٩.الظُّبى : جمع ظُبَة وهي حد السيف. **والظفر:** النصر.**والضرَب :** العسل. يقول أن النصر جميل وحلو مذاقه فالضرْب بالسيوف كالعسل.

١٠.الملحمة : المعركة العظيمة. **وأيام العرب:** وقائعها ومعاركها المشهورة كحرب البسوس وحرب داحس والغبراء. يقول إن هذه المعركة كانت عظيمة جداً، فلو كانت في أيام الجاهلية لنسي الناس كل المعارك وما ذكروا إلا هذه المعركة.

١١ و١٢. إذا كان بعض الملوك يغزو المشركين طلباً لكسب مادي فنور الدين يغو لوجه الله ولقبه(نور الدين) مؤشر على ذلك فأفعاله للدين فقط.

١٣.مقتضب : مختصر. لقد أشغلتني حروبه ومعاركه فهي كثيرة جداً مهما مدحته يظل مديحي مختصراً لا يفيه حقه.

١٤. الغلْب : الأسد. والغلَب: النصر. فهو الذي يأسر الأسود ومن يستطيع ذلك سوى الأقوياء المنتصرين.

١٥.استوليت على كل معاقل الأعداء، وأصبح كل واحد يسلم الآخر كأن به جرب يردي الخلاص منه.

البلاغة والأسلوب:

١. بدأت القصيدة بـــ (هذي العزائم) ثم البيت الثاني(هذه الهمم) وهي أسماء إشارة للقريب وفيه دلالة التعظيم والتكريم للعزائم والهمم، إضافة إلى ما يحمله اسم الإشارة من دلالة التنبيه، فمن المعروف أن اسم الإشارة هو (ذي) وأن الهاء التي تسبقه هي للتنبيه.

٢. قلنا إن أدب هذا العصر قد مال إلى الصنعة فأكثر الشعراء من المحسنات البديعية، ونظرة عجلى في هذه القصيدة تكشف لك عن هذه السمة ومن ذلك:

(أ) في البيت الأول جناس ناقص بين العزائم والمكارم وبينهما موازنة فكلاهما على وزن واحد.

(ب) في البيت الثاني جناس بين(خطبت) التي تعني طلبت للزواج و(الخطب) جمع خُطبة.

(ج) في البيت الثالث طباق بين(راحة) و(تعب) وفي كلمة راحة أيضاً تورية، والتورية هي أن يكون للكلمة معنيان أحدهما قريب يتبادر إلى الذهن وهو غير مراد، والآخر بعيد وهو ما يريده الشاعر، فكلمة (راحة) يتبادر للذهن أنها من الارتياح وذلك لوجود التعب معها، والحقيقة أن الشاعر يقصد باطن الكف.

(د) في البيت الرابع طباقان، الأول بين(ساهد وهاجعة) والثاني بين(ثابت وتضطرب)

(هـــ) في البيت الثامن جناس بين(الوبل والنبل)

(و) في البيت التاسع جناس بين (الضرْب وضرَب).

(ز) في البيت الحادي عشر طباق بين (محتسب ومكتسب)

(ح) في البيت الرابع عشر جناس بين (الغلْب وغلَب).

فلا يكاد يخلو بيت من محسن بديعي.

٣. ظهر في القصيدة تشبيهات جميلة وطريفة من ذلك مثلاً:في البيت السابع شبه الشاعر صورة السيوف وهي تلمع وسط الغبار الكثيف بصورة الشهب وهي تلمع في الليل، وهذا ما يعرف عند البلاغيين بالتشبيه التمثيلي(تشبيه صورة بصورة)

والواقع أن هذا التشبيه ليس مبتكراً عند الشاعر، بل بدا فيه متأثراً بقول بشار بن برد:

كأنّ مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبه

برأيك أي الشاعرين أقدر.

ومن التشبيهات عنده تشبيه النبل بالوبل، وثمة تشبيهات طريفة منها تشبيهه أفعال الممدوح باسمه، وتشبيهه (البيت ١٥) للأعداء وكل واحد منهم يسلم الآخر بصورة الإنسان الذي يريد أن يتخلص من شخص مريض بالجرب.وتشبيهه أكف المحاربين بالسحاب والسهام التي تنطلق منها بالمطر.

٤. استطاع الشاعر أن يرسم لنا صوراً جميلة منها صورة الممدوح وهو ساهر للتفكير في شأن الأمة وغيره نائم وصورته في المعركة ثابت القلب وقلوب الناس تضطرب. ومن الصور الجميلة صورة الخيل في البيت السادس عاجزة عن الركض خارت قواها تحمل القتلى فوقها غير قادرة على الفرار.

٥. بقي أن نقول أن ابن القيسراني بدا متأثراً كثيراً بالشاعر العباسي أبي تمام في قصيدته التي قالها في مدح المعتصم بالله عندما فتح عمّوريّة، ومطلعها:

السيفُ أصدق أنباءً من الكتب في حده الحدّ بين الجد واللعب

حتى بدا التشابه في بعض الصور فكلاهما صور السيوف أو الرماح وهي تلمع وسط المعركة بالشهب، يقول أبو تمام:

والعِلْمُ في شُهُبِ الأَرْمَاحِ لاَمِعَةً ** بَيْنَ الخَمِيسَيْنِ لافي السَّبْعَةِ الشُّهُبِ

واقرأ هذا البيت لأبي تمام واستخرج مشابهه من قصيدة ابن القيسراني:

فَتْحُ الفُتوحِ تَعَالَى أَنْ يُحيطَ بِهِ ** نَظْمٌ مِن الشعْرِ أَوْ نَثْرٌ مِنَ الخُطَبِ

وقوله في وصف خراب حصون الفرنج:

لَّما رَأَتْ أُخْتَها بالأَمْسِ قَدْ خَرِبَتْ كَانَ الْخَرَابُ لَهَا أَعْدَى من الجَرَبِ

فنستطيع القول إن القيسراني عارض أباتمام في هذه القصيدة.

المحاضرة الثالثة عشرة

ثورة محمود سامي البارودي

مقدمة :

عم الشعر العربي نهج التصنع و التكلف منذ عصر أبي تمام، ثم أخذت اللغة العربية بالتراجع في عصور الدول المتتابعة إلا من الاهتمامات القليلة، وظل الشعر العربي في حالة سكون وجمود، حتى جاء العصر الحديث فقامت عدة مدارس لإحياء الترث واللغة العربية، منها مدرسة الديوان ، ومدرسة الإحياء وغيرها ، وبرزت عدة رموز شعرية أخذت على عاتقها هذه المهمة منهم العقاد والمازني و محمود سامي البارودي ، فأخذوا بيد اللغة. فبعثوا الروح في القصيدة العربية ، وأعادوا إليها رونقها وجمالها دون نسيان أحداث العصر، والتحولات السياسية و الاجتماعية و الثقافية و يمكننا القول: إن عصر البارودي شهد بداية الصحوة العربية.

ونصنا من العصر الحديث يحمل أنفاس الثورة لأن صاحبه الشاعر محمود سامي البارودي شهد الثورة على الظلم وخاصة ثورة أحمد عرابي والثورة على الأدب، وتبرز أهمية شعره أنه يمثل التحول في الأسلوب الشعري، حيث عادت للشعر قوته وأصبح مشابهاً لما في عصور الازدهار الأدبي، ولا سيما العصر العباسي.

محمود سامي البارودي

محمود سامي باشا بن حسن بن حسين بن عبد الله البارودي المصري.

أول ناهض بالشعر العربي من كبوته، في العصر الحديث، وأحد القادة الشجعان، جركسي الأصل. ولد في مصر وتوفي فيها ورحل إلى الأستانة فأتقن الفارسية والتركية، وله فيهما قصائد.

ولما حدثت الثورة العرابية كان في صفوف الثائرين، ودخل الإنجليز القاهرة، فقبض عليه وسجن وحكم بإعدامه ، ثم أبدل الحكم بالنفي إلى جزيرة سيلان.

حيث أقام سبعة عشر عاماً، أكثرها في كندا تعلم الإنجليزية في خلالها وترجم كتباً إلى العربية وكفَّ بصره وعفي عنه سنة ١٣١٧ه فعاد إلى مصر.

أما شعره فيصح اتخاذه فاتحة للأسلوب العصري الراقي بعد إسفاف النظم زمناً طويلاً، **فيمثل شعره حركة إحياء الشعر العربي .**

له ديوان شعر مطبوع في جزأين، وله مختارات البارودي في أربعة أجزاء عرف البارودي **بفارس السيف والقلم**

جو النص :

حثَّ محمود سامي البارودي الناس على طلب العدل في الأحكام، وذمّ المسؤولين المتسلطين الذين أضرّوا بمصر وشعبها.

وهذه القصيدة كما ورد في ديوان البارودي أنها ضمّت سبعين بيتاً، افتتحت بها قافية اللام في الديوان المخطوط ، ولا ريب أن الشاعر نظمها في أواخر حكم الخديوي إسماعيل لما ساءت أحواله ، وارتبكت مالية مصر ، وأرهقتها الديون المتراكمة ، وتدّخل

الأجانب في شؤونها ، وتبرّم الأهالي بهذا الحكم السفيه الفاسد ، وأجمع الناس على وجوب خلع ذلك الحاكم .

نص القصيدة

١.قلدتُ جيدَ المعالي حليةَ الغزلِ ... وَقُلْتُ فِي الْجِدِّ مَا أَغْنَى عَنِ الْهَزَلِ

٢.أَهِيمُ بِالْبِيضِ فِي الأَغْمَادِ بَاسِمَةً ... عنْ غرةِ النصرِ ، لا بالبيضِ في الكللِ

٣.كمْ بينَ منتدبٍ يدعو لمكرمةٍ ... وَبَيْنَ مُعْتَكِفٍ يَبْكِي عَلَى طَلَلِ

٤.فانهض إلى صهواتِ المجدِ معتلياً ... فالبازُ لَمْ يأوِ إلاَّ عاليَ القللِ

٥.قدْ يظفرُ الفاتكُ الألوى بحاجتهِ ... وَيَقْعُدُ الْعَجْزُ بِالْهَيَّابَةِ الْوَكَلِ

٦.حلبتُ أشطرَ هذا الدهرِ تجربةً ... وَذُقْتُ مَافِيهِ مِن صَابٍ، وَمِنْ عَسَلِ

٧.فَمَا وَجَدْتُ عَلَى الأَيَّامِ بَاقِيَةً ... أَشْهَى إِلَى النَّفْسِ مِنْ حُرِّيَّةِ الْعَمَلِ

٨.لكننا غرضٌ للشرِّ في زمنٍ ... أَهْلُ الْعُقُولِ بِهِ فِي طَاعَةِ الْخَمَلِ

٩.قامتْ بهِ منْ رجالِ السوءِ طائفةٌ ... أدهى على النفسْ منْ بؤسٍ على ثكلِ

١٠.ذَلَّتْ بِهِمْ مِصْرُ بَعْدَ الْعِزِّ، واضْطَرَبَتْ ... قواعدُ الملكِ حتى ظلَّ في خللِ

١١.أرضٌ تأثلَ فيها الظلمُ ، وانقذفتْ ... صواعقُ الغدرِ بينَ السهلِ وَ الجبلِ

١٢.لَمْ أَدْرِ مَا حَلَّ بِالأَبْطَالِ مِنْ خَوَرٍ ... بَعْدَ الْمِراسِ، وَبِالأَسْيَافِ مِنْ فَلَلِ

١٣.هيهاتَ يلقى الفتى أمناً يلذُّ بهِ ... مَا لَمْ يَخُضْ نَحْوَهُ بَحْراً مِنَ الْوَهَلِ

١٤.فَمَا لَكُمْ لاَ تَعَافُ الضَّيْمَ أَنْفُسُكُمْ ... وَلاَ تَزُولُ غَوَاشِيكُمْ مِنَ الْكَسَلِ؟

١٥.وَتِلْكَ مِصْرُ الَّتِي أَفْنَى الْجِلاَدُ بِهَا ... لَفِيفَ أَسْلاَفِكُمْ فِي الأَعْصُرِ الأُوَلِ

١٦.فأيَّ عارٍ جلبتمْ بالخمولِ على ... ما شادهُ السيفُ منْ فخرٍ على زُحَلِ

١٧.إِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْفَتَى عَقْلٌ يَعِيشُ بِهِ ... فَإِنَّمَا هُوَ مَعْدُودٌ مِنَ الْهَمَلِ

١٨.فبادروا الأمرَ قبلَ الفوتِ وانتزعوا ... شِكَالَةَ الرَّيْثِ، فَالدُّنْيَا مَعَ الْعَجَلِ

١٩.وَقلّدوا أمركمْ شهماً أخا ثقةٍ ... يكونُ رداءً لكمْ في الحادثِ الجللِ

٢٠.وَلاَ تَلَجُّوا إِذَا مَا الرَّأْيُ لاَحَ لَكُمْ ... إنَّ اللجاجةَ مدعاةٌ إلى الفشلِ

٢١.وَلاَ تخافوا نكالاً فيهِ منشوكمْ ... فالحوتُ في اليمِّ لا يخشى منَ البللِ

٢٢.عيشُ الفتى في فناءِ الذلِّ منقصةٌ ... وَالموتُ في العز فخرُ السادةِ النبلِ

٢٣.أَسْهَرْتُ جَفْنِي لَكُمْ فِي نَظْمِ قَافِيَةٍ ... مَا إِنْ لَهَا فِي قَدِيمِ الشِّعْرِ مِنْ مَثَلِ

٢٤.غَرَّاءُ، تَعْلَقُهَا الأَسْمَاعُ مِنْ طَرَبٍ ... وَتَسْتَطِيرُ بِهَا الأَلْبَابُ مِنْ جَذَلِ

اللغة والشرح :

١.و٢. قلدتُ : جعلته كالقلادة.**جيدَ** : العنق. **البيض**: السيوف. **الكلل**: والكِلَّة السِّتر الرقيق يُخاط كالبيت. يبدو الشاعر في هذا البيت عاشقاً متغزلاً، لكنه لا يتغزل بامرأة، فهو يعشق المعالي، فقد صنع من شعره الغزلي قلادة جميلة في المجد، وهو يهيم ببيض الأغماد وهي السيوف لا ببيض النساء.

٣. فقومه متخاذلون ما بين شخص يدعو إلى المكارم دون أن يعمل بها، وبين معتكف يبكي على الماضي.

٤. صهوات : واحدها صَهْوَةُ وهي من كلّ شيءٍ أَعْلاهُ ، وهي منَ الفَرَسِ موضِعُ اللِّبْدِ من ظَهْرِه وقيل مَقْعَدُ الفارِسِ. الباز:الصقر.

القلل : القُلَّة أَعلى الجبل وقُلَّة كل شيء أَعلاه فالشاعر يدعو هؤلاء المتخاذلين إلى ترك التخاذل والعمل بجد وقتال الأعداء فالصقور تأبى إلا شواهق الجبال.

٥.الألوى: الشديد الخُصومة الجَدِلُ السَّلِيطُ. الوكل: الذي يَكِلُ أَمره إِلى غيره (العاجز). فلا يظفر بحاجته إلا القوي الشديد اللحوح أما المتواكل فيقعده عجزه عن المعالي.

٦.و٧. صابٍ: لم أعثر على المعنى الدقيق لها ولكن من معنى البيت يتضح أنها تشير إلى طعم غير مرغوب فيه. يبين الشاعر أنه رجل خبير مجرّب فقد خبر الحياة بحلوها ومرها، فما وجد أشهى من العمل بحرية ودون قيود أو تسلّط.

٨. يبين حال الأمة التي أصبحت هدفاً للشر وللطامعين في حال غياب العلماء والقادة عن الساحة السياسية.

٩و١٠ الثكل: فقدان الولد. يشير الشاعر إلى الساسة السيئين الذين يتحكمون في البلاد وأنهم شر، وهم أشد من المصيبة على المرأة الثكلى. هؤلاء الذين أذلوا مصر بعد عزها وأضعفوا ملكها فسادتها الفوضى.

١١. تأثل: عظُمَ وتأصّلَ. الخَوَر: الضعف. فَلَل: ثلْم حد السيف. فأرض مصر تعاظم الظلم فيها وأصبح متأصلاً وكثر فيها غدر الغادرين حتى ملأ السهل والجبل. و لم أدر ما حل بالأبطال من ضعف بعد قوتهم وبأسهم، فهل سيوفهم أصابها الفلل فما عادت تقطع؟!

١٣-١٦. غواشيكم : جمع غاشية، وهي كل ما يغشى الإنسان. يستنهض الشاعر همم الناس ويؤنبهم فلا يمكن أن يأمن المرء ما لم يجرب الخوف، فحتى متى تبقون تحت هذا الظلم ولا تعافه أنفسكم؟ ومتى يزول عنكم هذا الكسل والخمول؟ فهذه مصر التي حارب من أجلها أجدادكم، فقد ضيّعتم كل ما بناه الأجداد وكل ما حققوه من فخر وعز وصل إلى النجوم.

١٧. الهمل: جمع هامل، وهو كل شيء بلا راعٍ. يخرج بعد الأبيات السابقة بحكمة: فكل من لا عقل له فهو من الهمل الذين لا موجه ولا مرشد لهم.

١٨. عليكم أن تسارعوا قبل فوات الأوان، وأن تتخلصوا من داء الترّيث لأن الدنيا مع العجل وليست مع المتريث.

اللغة والشرح

١٩و٢٠ و٢١ الجلل: من الألفاظ المتضادة في اللغة فتعني الأمر الصغير والأمر العظيم والمقصود بها هنا الأمر العظيم. النكال: الحالة الذليلة التي هم عليها. ثم يقدم النصائح لقومه، فعليهم أن يختاروا لأمرهم رجلاً ثقة يكون لهم معيناً ودرعاً في كل أمر عظيم ثم عليهم أن يتركوا الفوضى والتنازع فهذا مدعاة إلى الفشل، وعليهم أن يكونوا أقوياء شجعان فهذا طبعهم، الذي طُبعوا عليه وعليهم ألا يخافوا من العدو في المعارك لأنهم هم أهل المعارك.

٢٢. ثم يخلص بحكمة مفادها أن حياة الذل ليست كاملة فهي حياة منقوصة وخير منها الموت بعزة فهو فخر للسادة والنبلاء.

٢٣و٢٤. يخلص الشاعر بمدح قصيدته فهي قصيدة غراء تعشقها الأسماع وتعلق بها فرحة بمعانيها وقد أسهرت عيني في نظمها حتى جاءت مميزة مختلفة عن كل شعر سبقها.

البلاغة والأسلوب :

أولاً: تعد هذه القصيدة قصيدة ثورية مجلجلة، لذا جاءت ألفاظها قوية ثائرة لتناسب المضمون ومن ذلك(البيض في الأغماد صهوات المجد، عالي القلل، الفاتك الألوى...إلخ)

ثانياً: تبدو القصيدة صادرة عن رجل حكيم مجرب؛ لذا تشيع الحكمة في القصيدة كلها ومنها في النص الذي اخترناه لكم : فالباز لا يأوي إلا عالي القلل، وقد يظفر الفاتك الألوى بحاجته...البيت، وهيهات يلقى الفتى أمناً...البيت، وإن اللجاجة مدعاة إلى الفشل، وعيش الفتى في الذل منقصة...البيت)

ثالثاً : ظهرت المحسنات البديعية جلية في النص لكنها غير متكلفة وتبدو جاءت عفو الخاطر، ومن ذلك: الطباق بين (الجد والهزل) و(الفاتك الألوى والهيابة الوكل) و(ذلت والعز) و(السهل والجبل) وغيرها كثير.

رابعاً : في القصيدة تشبيهات واستعارات كثيرة، ففي البيت الأول يشبه المعالي بالمرأة الجميلة، وفي الثاني يشبه السيوف بالنساء، وفي السادس شبه الدهر بالشاة الحلوب وحذف المشبه به على سبيل الاستعارة المكنية.

خامساً : تعج القصيدة بالكنايات، فبيض الأغماد كناية عن السيوف وبيض الكلل كناية عن النساء وبين السهل والجبل كناية عن سعة الانتشار.

سادساً : أفاد الشاعر من ثقافته الشعرية فبدا متأثراً بالشاعر الجاهلي عنترة، حيث يقول البارودي

عيشُ الفتى في فناءِ الذلّ منقصة وَ الموتُ في العز فخرُ السادةِ النبلِ

ويقول عنترة:

لا تسقني ماء الحياة بذلةٍ بل فاسقني بالعز كأس الحنظلِ

سابعاً : برز تكرار المعاني عنده بشكل واضح فكثير من أبياته تحوم حول نبذ الذل والسعي نحو المعالي، وهذا يناسب موضوع القصيدة الذي يسعى من خلاله إلى استنهاض الهمم وشحذها.

المحاضرة الرابعة عشرة

(زهور) أمل دنقل

عناصر المحاضرة

- المقدّمة.
- النص الشعري.
- تحليل النص.

الشعر الحر :

الشعر الحر شعر يجري وفق القواعد العروضية للقصيدة العربية ، ويلتزم بها ، ولا يخرج عنها إلا من حيث الشكل ، والتحرر من القافية الواحدة في أغلب الأحيان . فالوزن العروضي موجود والتفعيلة ثابتة مع اختلاف في الشكل الخارجي ليس غير. ويتناول الشعر الحر التعبير عن معاناة الشاعر الحقيقية للواقع الذي تعيشه الإنسانية.

وهناك عوامل ساعدت على نشأته، وهيأت له، تعود في جوهرها إلى دوافع اجتماعية وأخرى نفسية بالدرجة الأولى، إلى جانب بعض العوامل الأخرى المنبثقة عن سابقتها.

يؤكد الدكتور محمد النويهي بأن الدافع الحقيقي إلى استخدام هذا اللون من الشعر هو "الرغبة في استخدام التجربة مع الحالة النفسية والعاطفية للشاعر ، وذلك لكي يتآلف الإيقاع والنغم مع المشاعر الذاتية في وحدة موسيقية عضوية واحدة

ومن أهم مميزاته :

١. الوحدة العضوية، بمعنى أن أسطر القصيدة يكمل بعضها بعضاً، وتشكل كلها تركيباً متكاملاً يصعب معه إبدال سطر بآخر أو وضع مقطع مكان مقطع.

٢.تحررها من القيود الشكلية التي تحد من قدرات الشاعر وانطلاقه في التعبير عن خوالج نفسه بحرية وعفوية تامتين.

٣. الوحدة الموضوعية، فالقصيدة كلها فكرة واحدة.

٤. استخدام الرمز والأسطورة.

٥. عدم الالتزام بعمود الشعر العربي كالبحر العروضي والقافية.

القصيدة :

اخترت لكم قصيدة " الزهور" للشاعر أمل دنقل كأنموذج للشعر الحر في العصرالحديث، فلم بعد الشعراء يقلدون العصرين الجاهلي والعباسي بل انطلقوا ليكون لهم قصب السبق في ابتداع الشعر الحر. والقصيدة جميلة وإن كانت حزينة، فهي تحمل في طياتها صوراً جديدة، فقد أصبح للورد معنى آخر، ربما يجعلنا نعيد النظر في أخذنا باقة ورد لمريض.

أمل دنقل

ولد أمل دنقل في صعيد مصر، وقد كان والده عالماً من علماء الأزهرالشريف مما أثر في شخصية أمل دنقل الثقافية، فانعكس ذلك في قصائده بشكل واضح.

سمي أمل دنقل بهذا الاسم لأنه ولد بنفس السنة التي حصل فيها والده على إجازة العالمية فسماه باسم أمل تيمنا بالنجاح الذي حققه. وكان هو من ورث عنه أمل دنقل موهبة الشعر فقد كان يكتب الشعر العامودي وأيضاً كان يمتلك مكتبة ضخمة تضم كتب الفقه والشريعة والتفسير وذخائر التراث العربي مما أثر كثيراً في أمل دنقل. فقد أمل دنقل والده وهو في العاشرة من عمره مما أثر عليه كثيراً وأكسبه مسحة من الحزن تجدها في كل أشعاره.

مخالفاً لمعظم المدارس الشعرية في الخمسينيات إستوحى أمل دنقل قصائده من رموز التراث العربي، عاصر أمل دنقل عصر أحلام العروبة والثورة المصرية مما ساهم في تشكيل نفسيته وقد صدم ككل المصريين بانكسار مصر في عام ١٩٦٧وعبر عن صدمته في رائعته "البكاء بين يدي زرقاء اليمامة" ومجموعته "تعليق على ما حدث ".

أصيب أمل دنقل بالسرطان وعانى منه لمدة تقرب من ثلاث سنوات وتتضح معاناته مع المرض في مجموعته "اوراق الغرفة ٨" وهو رقم غرفته في المعهد القومي للأورام والذي قضى فيه ما يقارب ال ٤ سنوات، وهذه القصيدة التي بين أيدينا إحدى قصائده وهو على سرير الشفاء أو قل الموت.

توفي أمل دنقل عام ١٩٨٣لتنتهي معاناته مع كل شيء.

صدرت له ست مجموعات شعرية هي:

١) البكاء بين يدي زرقاء اليمامة.
٢) تعليق على ما حدث.
٣) مقتل القمر.
٤) العهد الآتي.
٥) أقوال جديدة عن حرب البسوس.
٦) أوراق الغرفة ٨

نص القصيدة

وسلالٌ منَ الوردِ،
ألمحُها بينَ إغماءة وإفاقه
وعلى كلِّ باقةٍ
اسمُ حامِلِها في بِطاقه
***
تَتَحدثُ لي الزَهراتُ الجميلهْ
أن أَعيُنَها اتَّسَعَتْ – دهشةً –
لحظةَ القَطْف،
لحظةَ القَصْف،
لحظة إعدامها في الخميلهْ!
تَتَحدثُ لي..
أنها سَقَطتْ منْ على عرشِها في البسَاتين
ثم أَفَاقَتْ على عَرْضِها في زُجاجِ الدكاكين، أو بينَ أيدي المُنادين،
حتى اشترَتْها اليدُ المتَفضِّلةُ العابِرهْ
تَتَحدثُ لي..
كيف جاءتْ إليّ..
(وأحزانُها الملَكيةُ ترفع أعناقَها الخضْرَ)
كي تَتَمني ليَ العُمرَ!
وهي تجودُ بأنفاسِها الآخرهْ!!
***
كلُّ باقهْ..
بينَ إغماءة وإفاقهْ
تتنفسُ مِثلِيَ – بالكادِ – ثانيةً.. ثانيهْ
وعلى صدرِها حمَلتْ – راضيهْ...
اسمَ قاتِلها في بطاقهْ!

تحليل النص :

أولاً: قال الشاعر هذه القصيدة وهو يرقد على سرير الشفاء بل الموت، بين الأمل في الحياة والألم من مرض هد قواه، يمثل له الموت المرتقب، ما بين الموت والحياة وبين الألم والأمل ولدت (زهور) أمل دنقل. وظل أمل دنقل يكتب الشعر في مرقده بالغرفه رقم ٨

بالمستشفى على علب الثقاب وهوامش الجرائد، و لم يهمل الشعر لحظة حتى آخر أيامه، حتى إنه يتم ديوانا كاملا باسم "أوراق الغرفة ٨" نشرته زوجته بعد أربعين يوماً من وفاته بمساعده وزاره الثقافة.

ووصولاً إلى المحطة الأخيرة الأكثر خطورة في (غرفة رقم٨) بمعهد الأورام وهنا تبدو مفارقة أخرى في رحلة المفارقات الشعريّة عند أمل دنقل، مفارقة كما يقول النقاد تبدو قليلة في تاريخ الإبداع والمبدعين وهي الكتابة على عتبة الموت القادم حتماً، حيث الشخص الموشك على الانطفاء النهائي، ينهي مسار تحدّياته للحياة والزمن ويستكين إلى قَدره .

ثانياً : المعنى العام للنص الشعري هو الإحساس بهذه الورود التي يقدمها الزوار في المستشفيات لمرضاهم، وهو معنى جديد وطريف لا يحس به إلا شاعر مرهف جعل من هذه الورود إنساناً ذا حس ومشاعر، يموت ليقدّر الآخرين ويعطيهم إحساساً بالحياة.

ثالثاً : نتوقف في هذا النص عند ملامح نقدية وجمالية وتحليلية نتوصل إليها عند قراءة النص قراءات متكررة، وهذا شأن الشعر الجميل لا تستطيع أن تستكنه جمالياته إلا بمعاودة قراءته.

١- جاء المقطع الأول ممهّداً للموضوع وبدأ بحرف الواو على الرغم أنه لم يسبق بشيء، وهذه إشارة إلى معاناة مستمرة وقديمة، لم تبدأ في المستشفى و لم يكن أولها (سلال الورد)، فما تلك السلال إلا جزء من الألم الذي يعانيه الشاعر. ثم يأتي بعد الواو بكلمة(سلال) وهي نكرة من جهة وتدل على الكثرة من جهة أخرى، وفي ذلك إشارتان، أولاهما طول مكثه على سرير الموت حتى تراكمت سلال ورد الزائرين عنده، وثانيتهما : أنه في حالة مرضية لا تسمح له بالتعرف على أصحابها فهم نكرة مثل كلمة (سلال).

وفي كلمة (ألمحها) دلالة واضحة على ضعف الشاعر ووهنه، فهو لا يكاد يبصر وإنما يلمح لمحاً.

وفي قوله: (ما بين إغمائة وإفاقه) تمثيل للهاجس الذي يعيشه الشاعر بين الحياة والموت.

٢- وفي المقطع الثاني ينتقل إلى حوارية مع تلك الورود، فيبدؤه بقوله:(تتحدث لي الزهرات) والحديث يحمل دلالة الودّ أكثر من الكلام فلم يقل(تكلمني) فهي تحدثه، وهو أحوج ما يكون إلى الحديث للشعور بوجوده والإحساس بالحياة، ثم إنه يضفي على الورد عنصر الحياة ذلك العنصر الذي يفتقده هو، وهذه إشارة أخرى إلى سيطرة هاجس الموت والحياة على الشاعر.

ثم يستمرُّ في نقل حديث الزهرات واندهاشها من الموت بلا سبب، وهي تتلقى أقسى حكم قضائي(الإعدام) دون أن تقترف أدنى ذنب. أليس في ذلك إشارة إلى إحساس الشاعر القوي بالموت؟ بلى.

وبعد ذلك ينقل الشاعر لنا هذا السقوط المفاجئ للحياة فالوردات تموي من عروشها بعدما كانت كالملوك في عروشهم، لتفاجأ بنفسها أسيرة ميتةً جثةً هامدة تعرض للبيع وراء زجاج الدكاكين، هذا ما يحدث للشاعر، فقد هوى من علياء شبابه وقوته فهو لم يتجاوز الأربعين سنة حتى وجد نفسه جثة هامدة في المستشفى.

ثم يعلن في ختام هذا المقطع عن ذلك الهاجس وتلك المرحلة الوسطى بين الحياة والموت وتلك الثنائية التي يقوم عليها النص كله: تَتَحدثُ لي.. كيف جاءتْ إليّ.. (وأحزانُها الملَكيةُ ترفع أعناقَها الخضْرَ) .

فهي تتمنى لي الحياة وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة. فتلك مفارقة عجيبة.

٣- أما في المقطع الأخير فيكشف الشاعر عن الرابط الوثيق بينه وبين الورود، فهي مثله تماماً تجود بأنفاسها الأخيرة، وكلاهما وإن دهش لحظة القطف ولحظة القصف إلا أنه يبدو راضياً:

وعلى صدرِها حمَلتْ – راضيهْ... اسمَ قاتِلها في بطاقهْ!

فكلمة(راضية) جاءت معترضة بين الفعل(حملت) والمفعول (اسم) فهي كلمة أرادها الشاعر بقوة لذا أبرزها بتقديمها على المفعول ليبين رضاه عما وصل إليه.

ثم انظر إلى دلالة الكلمات(بالكاد) وتكرار كلمة (ثانية):

تتنفسُ مِثلِيَ – بالكادِ – ثانيةً.. ثانيهْ

فهي تشير إلى لحظة الموت والإنتهاء فهو بالكاد يتنفس ويشعر بالموت في كل ثانية، ثم جاءت النقاط الثلاثة(...) فضاء نصياً يعبر عن بطء الزمن ويصور تلك الحالة النفسية التي يشعر بها الشاعر.

ملامح عامة في النص

١.تقوم القصيدة على المفارقة بين الحياة والموت، لذا قامت على الثنائية الضدية:

الموت	الحياة
إغماءة	إفاقة
عرشها في البساتين	عرضها في زجاج الدكاكين
تتمنى لي العمر	تجود بأنفاسها الأخيرة

٢.انتهت الأسطر الشعرية في معظمها بالهاء الساكنة، وهذا مناسب لحالة السكون التي يعيشها الشاعر بل هي مناسبة لحالة الانتهاء وتوقف الحياة، فقد اختار العرب صوت الهاء للسكت وانتهاء الكلام.

٣.ربما كان للحياة السياسية والثورية المتمردة التي عاشها الشاعر أثر في النص إذ نلمح بعض الألفاظ السياسية والثورية مثل: القصف، الملكية، عروشها، الإعدام، سقطت، قاتل.

٤. كشف الشاعر عن مقته لأولئك الذين يقطفون الورود لتهاديها في البيت الأخير بصراحة تامة عندما قال: وعلى صدرِها حمَلتْ – راضيهْ...

اسمَ قاتِلها في بطاقهْ!

حيث استبدل كلمة (حاملها) الواردة في المقطع الأول ووضع عوضاً منها كلمة(قاتلها) ليدلّ على بشاعة تلك العمليّة.

٥. عمد الشاعر إلى الفعل المضارع لنقل حواريته مع الزهرات(تتحدث، تتنفس، تتمنى...) والفعل المضارع يدل على الاستمرار ففي ذلك شعور باستمرار حالة المعاناة والألم.

٦. يجعل الشاعر من نفسه محور القصيدة، وهو بالفعل محورها، فالقصيدة تعبّر عن تجربة ذاتية حزينة، لذلك نلمح فيها (الأنا) بشكل واضح، وذلك من خلال ياء المتكلم في النص :

تتحدث لي....وقد وردت ثلاث مرات.

جاءت إليّ. تتمنى لي تتنفّس مثلي

تمنياتي للجميع بالتوفيق والنجاح .... دعواتكم اخوكم هتآن